مركز الأبحاث والدراسات التربوية
Educational Studies and Research Center

الأسرة

لقاء مطوّل مع سماحة الإمام الخامنئي

صهبا

دار المعارف الإسلامية الثقافية

دراسات في فكر الإمام الخامنئي دام ظله

الأسرة

لقاء مطوّل مع الإمام الخامنئيّ دام ظله

(الأسرة ومفاتيح سعادة الحياة الزوجية)

مركز الأبحاث والدراسات التربوية
Educational Studies and Research Center

دار المعارف الإسلامية الثقافية

الكتاب: الأسرة لقاء مطوّل مع الإمام الخامنئيّ دام ظله

ناشر النسخة الأصلية: صهبا

ترجمة: فاطمة شوربا

أشرف على الترجمة: مركز المعارف للترجمة

مراجعة: عبد الله قصير، د. يوسف أبو خليل، د. حسين صفي الدين

الناشر: دار المعارف الإسلامية

إعداد النسخة العربية: مركز الأبحاث والدراسات التربوية، علم وخبر، 2014/1108

عنوان المركز: لبنان-بيروت؛ الهاتف: 009615 107058 - 009615 472139

الموقع الإلكتروني: www.esrc.org.lb البريد الإلكتروني info@esrc.org.lb

facebook.com/esrc.org.lb twitter.com/esrc.org.lb

تصميم وطباعة: DBOUK
شركة ديوك العالمية للطباعة
info@dboukart.com

الطبعة الأولى – 2018م

ISBN 978-614-467-106-1

books@almaaref.org.lb
00961 01 467 547
00961 76 960 347

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع حقوق النسخة العربية محفوظة
لمركز الأبحاث والدراسات التربوية
الطبعة الأولى: ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 2 8/14/18 11:40:16 PM

الأسرة

لقاء مطوّل مع الإمام الخامنئيّ دام ظله

(الأسرة ومفاتيح سعادة الحياة الزوجية)

دار المعارف الإسلامية الثقافية

فهرس المواضيع

احترام الإسلام للزواج عند جميع الأديان والمذاهب ٢٧
أهميّة الزواج من وجهة نظر الإسلام ٢٩
اختلاف نظرة الإسلام والغرب إلى الأسرة والزواج ٣٢
تعامل الغرب مع المرأة ٣٣
شكر نعمة الزواج ٣٤
الزوج والزوجة مكمّلان لبعضهما البعض ٣٥
الرابطة الصحيحة بين المرأة والرجل من خلال المودّة والرحمة ... ٣٥
الشكر الحقيقي لنعمة الزواج ٣٨
ظاهرة تشكيل الأسرة ٣٩
تشبيه الأسرة بالخليّة في جسد المجتمع ٤٠
الحريّة الجنسيّة مخالفة لتشكيل الأسرة ٤٧
مكانة كلٍّ من المرأة والرجل في نظام الخلقة ٤٩
ثلاثة عوامل لحلّ مشكلة ظلم المرأة على مستوى العالم ٥١

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 7 8/14/18 11:40:17 PM

الاختلاف بين المرأة والرجل ٥٣
تأثير الجوّ العائلي على تربية الأولاد ٥٩
الحجاب ٦٤
تكريم المرأة في الإسلام ٧٣
مثال المرأة الفضلى في القرآن ٧٤
المرأة هي العنصر الأساسي لتشكيل الأسرة ٧٥
دور أمومة المرأة ٧٦
تأثير المرأة على الزوج والأولاد ٧٦
عمل النساء ٨١
«السكن»: تعبير القرآن عن العلاقة بين المرأة والرجل ٨٤
البيت محلّ للهدوء والراحة ٨٨
أهمّيّة عمل المرأة في البيت ٩٠
المحبّة وطرق الحفاظ عليها ٩٢
العلاقة بين الأحكام الشرعيّة والحفاظ على بنيان الأسرة ٩٦
الإعانة على التديّن والحؤول دون انحراف الزوج/ الزوجة ١١١
المادّيّات في الزواج ١١٦
المهر ١١٨

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 8 8/14/18 11:40:18 PM

الجهاز ١٢١
مراسم الزواج ١٢١
الإسراف والتجمّل في الحياة ١٢٨
زواج أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهما السلام ١٣٤
تدبير الإسلام فيما يتعلّق بكيفيّة الزواج وإدارة أموره ١٣٧
معايير الإسلام فيما يتعلّق باختيار الزوج ١٣٧
«اذهبا وتوافقا» ١٤٣
التوافق والتواؤم في الأسرة ١٤٥
جهاد المرأة ١٤٩
دور النساء والزوجات في الثورة ١٥٠
معنى «حسن التبعّل» في حياة الإمام عليّ والسيّدة فاطمة عليهما السلام .. ١٥٣
اعرفن قدر الزوج المؤمن والثوري ١٦٢
لزوم تجديد النظر الشامل في سياسة تحديد النسل ١٦٣
دعاء ١٦٥

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 9 8/14/18 11:40:18 PM

إضاءة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنّ المكانة التي يتمتع بها سماحة الإمام الخامنئي واجدة لشأنين هما الحاكميّة على أمور البلاد والحاكميّة على القلوب والنفوس. وعادة ما يجري الاهتمام بالشأن الأوّل الذي ينبري لحلّ العقد المنبثقة عن الأمور الجارية، التي تحول دون وصول النظام إلى طريق مسدود. لكنّه بصفته عالمًا ومفكّرًا إسلاميًّا وقف علمه على التربية وإيصال الناس إلى السعادة، له شأن آخر هو هداية القلوب، والحاكميّة عليها وجذب الأنفس نحو الكمال وإيجاد الجوّ المناسب لنموّ الفضائل الإنسانيّة في المجتمع، والأبوّة لكلّ فرد من أبناء هذا البلد. فهو الأب القلق من مشاكل أبنائه وهمومهم وآلامهم.

إنّ المشاكل الثقافيّة اليوم تحتاج إلى طبيب حاذق «دوّار بطبّه»[١] يفتّش عن المرضى والضعفاء. وهذا الطبيب الحاذق موجود اليوم، ونحن علينا أن نساعده على الدوران بطبّه.

(١) يقول الإمام عليّ عليه السلام في الخطبة ١٠٨ من نهج البلاغة واصفًا الرسول صلى الله عليه وآله: «طبيب دوّار بطبّه، قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمي، وآذان صمّ والسنة بكم..»

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 11 8/14/18 11:40:18 PM

إحدى الهواجس المهمّة لدى القائد، هي هواجسه فيما يتعلّق بطريقة حياة الناس التي عبّر عنها بـ«نمط الحياة» وشرّح مسائلها مرحلة مرحلة. والعنوان الأوّل الذي طرحه تبعًا لبحث نمط الحياة هو موضوع «الأسرة». هذه الهواجس الأساسيّة حتّمت على مركز «صهبا» أن يعدّ شيئًا في هذا المجال من كلمات القائد المعظّم، يلبّي احتياجات المراحل المختلفة لحياة الأسرة. فبدأ التحقيق وتجميع الموادّ. وكانت المواضيع لافتة وجذّابة من ناحيتين:

الأولى: كيفيّة نظرته للمرأة ودورها في الأسرة.

والثانية: تقديم النموذج الجامع للأسرة الإسلاميّة إلى المجتمعات البشريّة.

واجهتنا بين المستندات ظاهرة جذابة واستثنائيّة هي إلقاء خطبة في جلسات عقد القران (الزواج) من قبل القائد. وكان يسود هذه الجلسات جوّ حميميّ جدًّا، وهذا يشير إلى محبّته لزواج الشباب. يقول السيّد القائد في جلسة أسئلة وأجوبة له مع الطلبة الجامعيّين في جامعة شيراز، حين كان رئيسًا للجمهوريّة: «إنّني في طهران أجري كلّ أسبوع عقد قران لأحدهم. إحدى الأعمال التي حافظت عليها وتعتبر من المهام والمراسم التي يقوم بها علماء الدين. إنّني أحبّ القيام بهذا الأمر»[١]. حتمًا اتّخذت هذه الجلسات في فترة القيادة المفعمة بالبركة مسارًا انحداريًّا، ولكنّ هذه السُّنّة الحسنة لا زالت مستمرّة.

(١) ١٩٨٨/١٢/١٢.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 12 8/14/18 11:40:18 PM

يأخذ السيّد القائد الوكالة من العروس ويأخذ عالم دين آخر الوكالة من العريس. لكنّه قبل تلاوة صيغة العقد، يخصّص عدّة دقائق للحديث إلى الأسر والأزواج الشباب، ببيان عذب، جذّاب، سلس ومفهوم، فتحكي البسمات المرتسمة على شفاه الحاضرين عن وقعه في قلوبهم وتقبّلهم له. إنّه يدرك جيّدًا احتياجات الإنسان في العصر الراهن، ذلك أنّ الارتباط الوثيق بالناس وجسم المجتمع، يؤدّي إلى الوعي الكامل بموقعيّة الأسر اليوم، والمعرفة بالمشاكل، وتقديم الخطط الكاملة والمتناسبة وشرائط العصر وظروفه.

كما إنّه بصفته عالم اجتماع «نحرير»، ينظر إلى الأسرة على أنّها النواة الأساسيّة والخليّة الأصليّة التي توجد النسيج الاجتماعي، ويهتمّ بالرسالة الاجتماعيّة لهذه المؤسّسة في طريق الهدف النهائي لتشكيل الحضارة الإسلاميّة: «إنّ هدف الشعب الإيرانيّ والثورة الإسلاميّة هو إيجاد الحضارة الإسلاميّة الجديدة. وتنقسم الحضارة الجديدة على قسمين:

أحدهما الجزء الأداتي. والثاني الجزء المضموني والأساسي والأصلي... لكنّ الجزء الحقيقيّ يتمثّل في تلك الأشياء التي تشكّل مضمون حياتنا، وهي نمط العيش نفسه الذي تكلّمنا عنه. هذا هو الجزء الحقيقيّ والأصلي للحضارة، كموضوع الأسرة، نمط الزواج، نوع المسكن، طراز اللباس، نموذج الاستهلاك، نوعيّة الطعام، والطبخ،...»[١].

(١) ٢٠١٢/١٠/١٤.

.indd 13 8/14/18 11:40:19 PM

المسألة الأخرى هي أنّ العالم اليوم أسير لهيمنة ثقافة الغرب الدعائية، وعلى كلّ من يقدّم وصفة لحلّ مشاكل البشر، أن يعرف نقائص الثقافة الغربيّة، ويقدّم بدائل لهذه النقائص. وسماحة الإمام الخامنئي مطّلع بنحو تامّ على هذه الثقافة وأركانها وأسسها، وإلى جانب رؤيته لنقاط قوّة هذه الثقافة، لديه معرفة تامّة بإحدى أهمّ انحرافاتها، أي الابتعاد عن النظرة الصحيحة لموضوع الأسرة والمرأة. لذا تراه يؤكّد كثيرًا على المرأة ودورها في الأسرة، ويقول مرارًا وتكرارًا بأنّنا في موضوع المرأة غرماء للثقافة الغربيّة.

لكنّ النقطة الأساسيّة هي أنّ سماحة القائد هو زوج وأب بكلّ ما للكلمة من معنى. وهو أوّل العاملين بالوصايا والتأكيدات التي يطلقها فيما يتعلّق بالأسرة. وأسلوبه في التعامل مع الوالدين والزوجة والأبناء وكنّاته وأصهرته وأحفاده وفي كلّ تفاصيل الحياة العائليّة، قد بلغ القمّة، بحيث جعل ذلك منه المثال الحسن للناس في هذا المجال. وإذا ما انفتح أمامنا طريق معرفة سيرة حياته، لعمّ نورها حتمًا، المجتمع بتمامه.

لقد تزوّج الإمام الخامنئي في أوج فترة النضال والمواجهات الثوريّة، وتشهد حياته الجهاديّة لحظة بلحظة على أنّ الثورة ونهضة إحياء الإسلام في إيران تبدأ من مؤسّسة الأسرة، التي تشكل الخلايا الأساسيّة للنسيج الاجتماعي، وذلك بكفاح ذوي البصيرة من الرجال، وتحريض وتشجيع النساء الصبورات والمستقيمات.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 14 8/14/18 11:40:19 PM

فيما يلي نورد بالترتيب مقابلتين أُجريتا مع زوجته المحترمة ـ السيّدة خجسته ـ في العامين ١٩٨٣ و١٩٩٣:

«أذكر قصّة حدثت في تشرين الثاني من العام ١٩٧٧ لا تغيب عن بالي أبدًا. كانت تلك المرّة الأخيرة التي اعتقل فيها. لقد حاصروا منزلنا منذ الساعة السابعة مساءً. لم يكن السيّد الخامنئي في المنزل. أتى عند الساعة الثانية عشرة ليلًا. عند الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، قرع عناصر الأمن (السّافاك) باب المنزل. كان ما زال مستيقظًا. اتّجه نحو الباب، وما إن فتحه حتّى وجّه عناصر السافاك فوّهات بنادقهم إلى الداخل وقاموا بتهديده، فقاومهم وأغلق الباب في وجههم. كنت نائمة، استيقظت على صوت انكسار زجاج الباب وصوت عناصر السافاك الذين كانوا يصرخون ويقولون: «استسلم، وإلاّ أطلقنا النار، رأيت مصطفى جالسًا في سريره مذعورًا ويقول: ماما، لقد قتلوا والدي. حينها التفتّ إلى ما يجري. رأيت من خلف زجاج الباب عناصر السافاك يكبّلون يديه، فيما راح بعضهم يضربه وهو يدافع عن نفسه. وضعت تشادوري [عباءتي] على رأسي بسرعة. دخل أحد العناصر إلى القاعة التي كنّا نائمين فيها، ووجّه سلاحه صوبي ولم يسمح لي بالإتيان بأيّة حركة. في تلك الأثناء استيقظ أخي الذي كان بائتًا ليلته عندنا، وهرع إلى القاعة متسائلًا ماذا حدث؟ قلت: لا شيء، إنّها أعمالهم المعتادة. غضب السافاك من كلامي. كان ميثم (الإبن الثاني) يبكي في مهده، مضت فترة من الوقت، نهضت وذهبت إلى المطبخ ومن هناك إلى غرفة المكتبة، حيث كان سماحته

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 15 8/14/18 11:40:19 PM

ورجال السافاك هناك، كانوا مشغولين بالبحث بين الكتب. وبعد عدّة جولات من الدخول والخروج الهادئ إلى الغرفة، سحبت منها بعض الأوراق والمؤلّفات التي كان السيّد الخامنئي قد جهد في تأليفها. أذّن لصلاة الصبح، فطلب سماحته منهم أن يؤدّي صلاته. توضّأ تحت نظر عناصر السافاك، أدّى صلاته، ومن ثمّ تهيّأوا للذهاب. أيقظت الأولاد الذين كانوا نائمين، وحتّى لا يشعروا بالانزعاج قلت لهم بأنّ والدهم يريد السفر. لكنّ الأولاد حين رأوا عناصر السافاك بأسلحتهم فهموا القضيّة. ودّعنا سماحته وذهب مع عناصر السافاك. عندما استنار الصباح أكثر، رأيت دماء على الأرض، لا أدري لِمَ اتّصلوا بعد ظهر ذلك اليوم من مخفر الشرطة وقالوا إنّهم في صدد نقله إلى مكان آخر، فإن رغبتِ في رؤيته، عليك المجيء بأقصى سرعة. ذهبت برفقة بعض أصدقائه إلى مخفر الشرطة. قابلته هناك وحينها علمت أنّ رجله جُرحت جرّاء ضرب عملاء السافاك له.

في اليوم التالي ذهبت مجدّدًا للقائه فقال لي: لقد حكموني بالنفي ثلاث سنوات إلى إيرانشهر. بعد إمضاء فترة من محكوميّته في إيرانشهر، نُقل إلى «جيرفت» إحدى توابع «كرمان». وبعد فترة قصيرة وبسبب انتصار الثورة، عاد إلى مشهد، وبهذا انتفى ما بقي من مدّة محكوميّته تلقائيًّا».

«لقد تزوّجت من سماحته عام ١٩٦٤، وطبعًا فقد تمّ هذه الزواج وفقًا لما كان معتمدًا ومرسومًا في العائلات المتديّنة آنذاك، فقد أتت والدته إلى منزلنا من أجل الخطبة، وبعد المداولات المعتادة أُقيمت

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 16 8/14/18 11:40:19 PM

مراسم الزواج. لدينا أربعة أبناء وابنتان، وقد وُلِد كل أبنائنا قبل الثورة أمّا ابنتانا فوُلدتا بعد الثورة.

لقد كانت تلك الفترة [ما قبل انتصار الثورة] فترة شاقّة وامتحانًا إلهيًا، وكنت قد جهّزت نفسي لكل المشاكل المحتملة، فلم أنبس ببنت شفةٍ أبدًا ولم أشكُ من أمرٍ ما. أذكر أنّه خلال الأشهر الأولى بعد زواجنا، سألني زوجي في أحد الأيام: «إن تمّ اعتقالي فماذا سيكون موقفك؟» لقد كان سؤالًا غير متوقع، وقد اضطربت واستأتُ جدًا في بادئ الأمر، لكنّه حدّثني عن المواجهة ومخاطرها ومشاكلها ووظيفة كل شخص في هذا المجال بحيث أقتعني تمامًا. وقد فتح سماحته هذا الموضوع في اليوم نفسه الذي اعتُقِل فيه الإمام الخميني قدس سره للمرّة الثانيةً وجيء به من قم إلى طهران ومن ثمّ أُقصي إلى تركيا. في ذلك اليوم كان السيد الخامنئي وآخرون في مشهد قد جهّزوا أنفسهم لإبداء مخالفتهم واعتراضهم على هذا الأمر، فسألني حينها عن ردّة فعلي في حال اعتقاله. ومنذ ذلك اليوم هيّأت نفسي فكريًا لمواجهة المخاطر التي قد يواجهها زوجي في كفاحه، لذا ففي كل مرة كان يتم اعتقاله أو إبعاده أو كان يضطر للقيام بنشاطاته خفيةً وبشكل سرّيّ، كنت أتحمّل كافّة المشاكل بسهولة. وفيما بعد عندما زاد عدد أبنائنا، كانت الحياة تصبح أكثر صعوبة من ذي قبل، وطبعًا كانت في عناية الله دائمًا ولم أشعر باليأس أبدًا.

أظنّ أنّ دوري الأكبر كان في حفظ جوّ الاستقرار والهدوء في البيت، بحيث يستطيع سماحته متابعة عمله براحة بال. فكنت أسعى

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 17 8/14/18 11:40:20 PM

أن أبعد عنه القلق بخصوصي أنا وأولادي، وفي بعض الأحيان عندما كنت أذهب إلى السّجن لملاقاته لم أكن أخبره عن المشاكل التي كنّا نعانيها، وعندما كان يسألني عن حالي وحال أولادي لم أكن أخبره إلا بالأمور الإيجابية. فمثلًا لم أكن أخبره عن مرض الأولاد خلال لقاءاتي به في السجن، أو في الرسائل التي كنت أكتبها له في فترة الإبعاد.

بالطبع، كنت أقوم بنشاطات في مجالات مختلفة كنشر البيانات وحمل الرسائل وإخفاء الوثائق، ولكنّي أرى أنّ هذه ليست شيئًا يذكر. في آخر أشهر الكفاح كان سماحته يعمل في ما يتعلّق برسائل الإمام الخميني قدس سره الهاتفية من باريس، فكنت أرسلها إلى مراكز في مشهد والمدن الأخرى لإعادة تسجيلها ونشرها وتوزيعها، وكنت أجمع الأخبار من مشهد وباقي مدن خراسان وأتّصل بباريس. ولكنّي أظنّ أنّ الدعم المعنوي ومشاركة الآلام وحفظ الأسرار وتحمّل المشقات كانت أهمّ أعمال النساء المجاهدات والحرائر في ذلك الزمان.

[فيما يتعلّق بمساعدته داخل البيت] في الوقت الحاضر، فليس لسماحته المجال لذلك، ولا نحن ننتظر منه هكذا أمر. ولكن لدى سماحته ميزة لطيفة وجميلة ويمكنها أن تكون نموذجًا وأسوةً للآخرين وهي أنّه عندما يتواجد في البيت يسعى أن يُبقي جوّ البيت بعيدًا عن المشاكل المرتبطة بالعمل، على الرغم من أنّه عادةً ما يكون متعبًا من العمل اليومي.

أنا بصفتي امرأة مسلمة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وكما

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 18 8/14/18 11:40:20 PM

بقية الأخوات المسلمات، لديّ بعض المهام على عاتقي وأقوم بتأديتها بكلّ وسعي، لكن ليس لديّ أيّ مسؤولية رسمية معيّنة.

إنّنا لم نسمح للأشياء الكماليّة أن تدخل بيتنا منذ عدة سنوات. الجمال أمر جيّد، لكن ينبغي أن لا نجعل أنفسنا مقيّدين بأن نعيش حياة الترف والكماليّات. ليس لدينا في منزلنا ديكور بالمعنى المتداول للكلمة، أي سجاد وكنبات غالية الثمن وما إلى ذلك، فلقد حرّرنا أنفسنا من هذه الأشياء منذ سنوات. لقد كان والدا السيد الخامنئي مثلنا الأعلى في هذا المجال، وكانت والدته تنتقد هكذا نوع من الكماليّات، وأنا أيضًا أؤمن بهذا الشيء. ودائمًا ما أوصي أولادنا بأن يكون سلوكهم الشخصي على هذا النحو، فلا ضرورة للأغراض الكمالية».

لقد حصل لنا التوفيق بأن نحضر في مجلس درس عالم إسلامي واجتماعي وعالم بالقرآن وعارف بشؤون الغرب وعالم عامل بعلمه، ليتحدّث إلينا عن «الأسرة»، عن فلسفة الزواج وأهميّته، عن رأي الإسلام ورأي الغرب حول الزواج، عن الفروقات والاختلاف بين الرجل والمرأة، وعن مكانة كلٍّ من الرجل والمرأة في الأسرة و... فهذه مواضيع ترتبط ببعضها البعض كحبّات المسبحة، والخيط الذي يربطها ببعضها هو قضية الأسرة وأهميتها. وفي الحقيقة لقد تم الحديث حول موضوع الأسرة وموضوع المرأة، وتمت معالجة دور المرأة في الأسرة من ناحيتين: إحداهما نقد رأي الغرب، والثانية، طرح رأي الإسلام.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 19 8/14/18 11:40:20 PM

هذه المواضيع أشبه برواية ذات مضمونٍ قيّم، تجذب القارئ الكريم إلى نفسها وتدعوه لقراءتها، فموضوعها موضوعٌ ملموس ومن أرض الواقع، ومخاطبها ليس فقط الأزواج الذين هم في سن الشباب فحسب، بل كل من يريد أن يبني أسرة أو بناها ولا يزال في بداية الطريق، أو مضى على حياته المشتركة سنوات وهو الآن يفكر في أمر الحياة المشتركة لأبنائه، فيمكنه أن يعتبرها موجّهةً إليه.

وعند مطالعة الكتاب بشكل دقيق نفهم المضمون القرآني للآية الكريمة ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً﴾[1] ونجد أنّنا مكلّفون جميعًا بأن نبني بيوتًا وأُسَرًا تكون خالية من النقائص الجدّيّة، سواءً في بنائها أو ديمومتها أو محتواها، وتكون متطابقة مع المعايير التي قدّمها حضرة السيد القائد.

نجلس الآن في مجلس درس أحد الملتزمين بالمباني الإسلامية، والذي هو كالشمس الساطعة يبعث الضياء، فتنهل ماءً زلالًا باردًا يروينا، ونتعرّف إلى وجهة نظر الإسلام في هذه القضية المهمة.

شرح الأسلوب المتبع في هذا الكتاب

خلال إعداد هذا الكتاب تم الاقتباس من أكثر من مئة محاضرة للإمام الخامنئي، وأكثرها يتعلّق بجلسات عقد القران، ومؤتمرات الأفكار الاستراتيجية حول موضوع المرأة والأسرة، ولقاء المنشدين

(١) سورة يونس، الآية ٨٧.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 20 8/14/18 11:40:21 PM

وقرّاء العزاء في ذكرى ولادة حضرة السيدة الزهراء (سلام الله عليها)، والجلسات مع النخب من النساء. ولأجل صياغة مباحث هذه المحاضرات، تمّ اتّباع أسلوب [جديد] على غرار «إعداد جلسة مطوّلة محبوكة في محضر سماحة القائد المعظّم» وهو ما سنشرحه في ما يلي:

* **الإعداد:** من أجل نشر خطابات القائد العزيز وأفكاره، ينبغي العمل بشكلٍ كافٍ ومناسبٍ على المتون، والقيام بما يصطلح عليه «إعداد كتاب» من خلال انتقاء الكلام بشكل مدروس من خطب سماحته. وبالطبع ينبغي في عملية إعداد الكتب، اعتماد أساليب متناسبة مع المواضيع بحسب اختلافها، أساليب موثّقة، إبداعية، فصيحة، واضحة، جذابة، وجميلة.

* **جلسة:** ليس في هذا الكتاب عنوان وهو ليس مقسّمًا إلى فصول، وتمّ ذلك عن سابق تصميم من أجل الحفاظ على طابع «الجلسة»، فبقراءتنا له نشعر وكأنّنا نستمع إلى صوت وليّنا بنغمته الدافئة، وذلك في جلسة عقد القران المفعمة بالحيوية. طبعًا جلستنا هنا افتراضيّة، جلسة افتراضيّة وتخيليّة، ولكنّ كلماتها حقيقيّة. إنّنا عندما نكون في جلسة ما، لا نعلم ما المعارف التي سيتمّ تقديمها وبأي ترتيب ستكون. وفي هذا الأسلوب المتبع في الكتاب، تم تجنّب العنونة [المباشرة] للحفاظ على جوّ الجلسة[١]. وكما نجلس في الجلسة الواقعية ونصغي

(١) ثم وضع العناوين إلى جانب النصوص في طرفي الصفحات (المحرر).

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 21 8/14/18 11:40:21 PM

منذ بدء الكلام حتى نهايته، فإنّ أفضل طريقة لمطالعة كتاب «الأسرة» هي أن نطالعه بشكل متواصل ولا نقطع القراءة إلا عند الضرورة. ومع ذلك، فإنّ قراءة كل قسم من الكتاب على حدة – في المطالعات المستقبلية – سيكون لها حلاوتها وجاذبيّتها وبريقها الخاص بها.

* **مطوّلة**: هذه الكلمة تعبّر عن كون هذا المتن المتماسك طويلًا. وهذا لا يعني بالضرورة ضخامة الكتاب، بل إنّ أي جلسة يطول زمان انعقادها يُقال لها مطوّلة.

* **محبوكة**: أي مترابطة ومتشابكة ببعضها البعض. فلأجل إعداد جلسة واحدة مطوّلة من ما يزيد عن مائة جلسة، ينبغي إدغام المطالب ببعضها وفق نظام منطقي، فتقطيع المحاضرات ووضعها إلى جانب بعضها البعض يأتي حتمًا في إطار مواضيع مرتبطة، وإن لم يلتفت القارئ إلى التواريخ ما بين المحاضرات، فسيشعر بتماسك النص وتجانسه.

* **في محضر**: إن كل المطالب الواردة في الكتاب هي عين كلام سماحته، وفي الحالات المعدودة التي أضيفت فيها بعض الكلمات إلى النص، تم استعمال علامة [ ]، وإذا كان هناك مقطع من النص قد حُذف بسبب التكرار أو الخروج عن الموضوع، فقد تمت الإشارة إليه بنقطتين متتاليتين (..).

وفي نهاية الكتاب تمّ إدراج فهرس بمواضيع الكتاب، يمكن للقارئ أن يعثر من خلاله على المطلب الذي يريده بعد مطالعته للكتاب كاملًا.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 22 8/14/18 11:40:21 PM

ومن الأفضل أن يقوم كل قارئ بتدوين علامات وإشارات في حاشية الكتاب وفقًا لفهمه وللقضايا التي تحيط به وترتبط بحياته الشخصية، بحيث تساعده على مراجعة المطالب أو العثور عليها في المستقبل.

في الختام، كم من الأزواج الذين كانوا مشتاقين من صميم قلوبهم لأن يبدأوا حياتهم المشتركة في محضر وليّهم، ولكنّهم لم يحقّقوا هذا الأمل. أولئك من خلال علمهم بالرؤية الإلهيّة لمقتداهم، جعلوا مهورهم أربع عشرة مسكوكة ذهبيّة أو أقلّ، أو حتّى جعلوه مهر السنّة، على أمل أنّهم إن لم يبدأوا حياتهم المشتركة بعقد قرانهم بواسطة القائد، فبالحدّ الأدنى يكونون قد تماهوا وتناغموا مع لحن كلامه.

والآن، فإنّه من الجدير بكلّ من يحسب نفسه من الأبناء المعنويين لهذا الأب الحنون والحكيم، أن يجعل سلوكه وحالته كما يريد سماحته، وأن يضع نفسه في مسار طريق العمل الصالح من خلال [الامتثال] لتوجيهات سماحته وإرشاداته، وأن لا يرضى [لنفسه] الخروج عن دائرة رأي سماحته قيد أنملة، أو الغفلة عنها ولو للحظة.

صدر هذا العمل باللغة الفارسية في شهر أيلول ٢٠١٣ الموافق لأيّام شهر رمضان المبارك من العام ١٤٣٤ق

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 23 8/14/18 11:40:21 PM

الجلسة

استهلال

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله إقرارًا بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصًا لوحدانيّته، والصلاة والسلام على أشرف بريّته وعلى الأصفياء من عترته. وبعدُ فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام، فقال: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١]. وقال رسول الله ﷺ: «النكاح سنّتي فمن رغب عن سنّتي فليس منّي»[٢] وقال رسول الله ﷺ: «من تزوّج فقد أحرز نصف دينه، فليتّق الله في النّصف الآخر» وقال ﷺ: «تناكحوا تناسلوا تَكاثُروا فإنّي أُباهي بكم الأممَ يوم القيامة ولو بالسّقط»[٣].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك الليلة هذا العقد الذي أجريه لكم أيّها الشباب المسلمون والشابّات المسلمات، وأن يوفّقكم للعمل بوظائف الزوجيّة والزواج[٤]. وأن يُوفّقكم للحياة مع بعضكم عمرًا

(١) سورة النور، الآية ٣٢.

(٢) ١٩٩٨/٤/١٥.

(٣) ٢٠٠٢/١٠/٣.

(٤) ١٩٨٤/٥/٤.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 25 8/14/18 11:40:22 PM

مديدًا بهناءة عيش وسعادة[١]. وأن تكون ثمرة هذا الزواج أُسرًا صالحة وسليمة ومؤمنة ومتديّنة[٢].

أودّ في البداية أن أوّجه بعض النصائح للعرائس والعرسان وعائلاتهم، ومن ثمّ أجري صيغة العقد[٣].

في هذا العقد الذي نجريه، إنّما في الحقيقة، نربط ونصل شخصين أجنبيّين (من الناحية الشرعية) عن بعضهما البعض، بهذه الكلمات القليلة، ليصبحا أشدّ قربًا ومودّة وارتباطًا ببعضهما من كلّ العالم.

ثانيًا، إنّنا نوجد من خلال هذا العقد خليّة جديدة في جسد المجتمع، حيث يتشكّل جسد المجتمع من خلايا العائلات[٤].

بالطبع، إنّ الفائدة الأهمّ للزواج هي بناء العائلة والأسرة، وباقي الأمور إنّما هي مسائل فرعيّة وثانويّة أو رافدة لهذه المسألة، كالتوالد والتكاثر أو إشباع الشهوة الجسدية، فهذه كلّها تأتي في الدرجة الثانية، ويأتي تشكيل العائلة والأسرة في الدرجة الأولى[٥].

لقد عدّ شرع الإسلام المقدّس الزواج أمرًا لازمًا بالنسبة للرجال

(١) ٢٠٠٢/١٢/٦.
(٢) ١٩٩٦/٨/٢٣.
(٣) ٢٠٠٢/٥/٢٩.
(٤) ١٩٩٥/٣/٢.
(٥) ٢٠٠٢/٢/٨.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 26 8/14/18 11:40:22 PM

والنساء، لأنّ قوام الحياة البشريّة نواته الأسرة، التي تقوم بالزواج[١]. ولذا، فإنّ الزواج موجود في كلّ الأديان والملل والمذاهب[٢]، وهو ليس مختصًّا بالإسلام[٣]. وكلّ الزيجات بين أهل الملل والأديان فيما بينهم صحيحة، لذا، إذا ما أسلم شخص من أيّ دين أو مذهب غير الإسلام -ولنفترض أنّ رجلًا وزوجته أسلما- فإنّ ذلك الزواج الذي عقداه بحسب دينهما السابق صحيح[٤]. فالإسلام يرى بأنّ عقود أبناء الأديان الأخرى وزيجاتهم، وارتباطاتهم صحيحة، ويعدّهما [من تزوّج منهم طبقًا لمعايير ملّته] زوجةً وزوجًا، وأولادهم أولاد حلال[٥]. ولا يطلب منهما تجديد عقد الزواج، بعبارة أخرى، يحترم الإسلام كلّ الزيجات التي أُجريت في الأديان والمذاهب الأخرى. ذلك أنّ أصل الزواج، هذا العقد الشريف بين الرجل والمرأة لبدء حياة مشتركة فيما بينهما، هو أمر معتبر ومقدّس في جميع الأديان[٦].

غالبًا ما تكون مراسم الزواج مراسم دينيّة، فيقيمها المسيحيّون في الكنائس واليهود في الكنيس، أمّا المسلمون فإنّهم وإن كانوا لا يقيمونها في المساجد، إلّا أنّهم إن استطاعوا يقيمونها في المشاهد

(١) ١٩٨٤/٣/٢.
(٢) ١٩٨٤/٣/٢.
(٣) ١٩٨٤/٣/٩.
(٤) ١٩٨٤/٣/٢.
(٥) ١٩٩٦/٧/٣١.
(٦) ١٩٨٤/٣/٢.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 27 8/14/18 11:40:23 PM

المشرّفة[١]، أو في الأيّام المباركة وعلى يد علماء الدين بالخصوص. وهكذا، فإنّ عالم الدين عندما يجلس ليعقد قران أحدهم فإنّه يخطب خطبة دينيّة. وعليه، فالصبغة صبغة دينيّة تمامًا. وللزواج جنبة قدسيّة،[٢] غاية الأمر أنّ الزواج في الإسلام قد ضمن شرائط خاصّة وأحكام محدّدة، تقوّي هذه الرابطة وتوثّقها وكذا تخرجها من حال القيم غير المعتبرة إلى القيم المعتبرة[٣]. ما معنى هذا؟ معناه أنّنا وبمجرّد الدخول في هذه المرحلة، نجدّد العهد مع الله المتعال بالتزاماتنا الدينيّة، ويكون البدء بالحياة الأسريّة مقترنًا بالتوجّه إلى الله. لذلك حُدّدت لكلّ المسلمين تكاليف عباديّة خاصة ليلة الزواج، من صلوات مستحبّة ودعاء وغيرها.

يظنّ أصحاب القلوب الغافلة بأنّ مرحلة الزواج هي مرحلة إطفاء الشهوة فقط، ومرحلة إشباع الرغبات النفسيّة، إلا أنّ الحقيقة مغايرة لذلك. إنّ إشباع الرغبات النفسيّة، وتلبية الاحتياجات الطبيعيّة أمر لازم ولا إشكال فيه أيضًا، وهو أمر مستحسن كثيرًا ـ لكن حتّى تلبية الحاجات الطبيعيّة، ينبغي أن يكون مقرونًا بتذكّر الله، والتوجّه إليه وفي سبيله. عندما تأكلون أيضًا، تبدأون بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» وعندما تنهون تقولون «الحمد لله» وتشكرون الله تعالى. وهل هناك شيء أكثر طبيعيّة من الأكل؟! ينبغي لتشكيل الأسرة أن يكون تجديد

(١) مشاهد الأئمّة وأبنائهم عليهم السلام.

(٢) ١٣/١٩٩٠.

(٣) ٩/٣/١٩٨٤.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 28 8/14/18 11:40:23 PM

عهد جديد مع الله المتعال، بمعنى أن يستحضر كلّ إنسان العهد الذي عاهده لله تعالى ويراعي الله سبحانه به في الخطوة الأولى من مرحلة الزواج[١]. لذا، فإنّه من السهل جدًّا أن يحصل الإنسان على الأجر أيضًا عن طريق هذا الإقدام والعمل الذي تقتضيه طبيعته وحاجته، لأنّه سنّة، وقد أقدم على هذا العمل بهدف أداء سنّة الرسول ﷺ وطاعة أمره[٢].

للزواج أهمّيّة بالغة في الإسلام[٣]. ومع أنّه لم يُصنّف شرعًا من جملة الواجبات، إلّا أنّه قد تمّ الحثّ والترغيب به إلى درجة يفهم الإنسان منها إصرار الله تعالى عليه[٤]. وتكمن الأهميّة في أنّ الزواج حاجة طبيعيّة والإسلام يولي الأهميّة لحاجات الإنسان الطبيعيّة، وينبغي له تشخيص الطريق السليم لقضاء هذه الحاجة وقد شخّصه بالفعل، وهو بالزواج[٥]. لكلّ من الرجل والمرأة حاجة جنسيّة، ولا يمكن لهذه الحاجة أن تكون من دون قيود، ومتروكة. ومن غير الجائز أن تكون كذلك، بل ينبغي وضع حدود وضوابط لها، وحدّها هو الزواج. لذلك يقول: «من تزوّج فقد أحرز نصف دينه». ما هو نصف الدين الذي يُحرز؟ بعض منه هو ذلك الشيء الذي يُهدّد الإنسان من ناحية

(١) ٢٠٠٢/١٠/٢١.
(٢) ١٩٩٨/١/٢٩.
(٣) ١٩٨٤/٣/٢.
(٤) ١٩٩٩/٣/٢.
(٥) ١٩٨٤/٣/٩.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 29 8/14/18 11:40:23 PM

ميوله الجنسيّة. فالميول الجنسيّة تسلب دين الكثير من البشر، وتوقع الكثير منهم في المشاكل، وفي التيه والضلال. والوقوف بوجهها يكون بإشباع هذه الميول الجنسيّة، وتلبيتها وعدم كبحها، لكن كيف؟ بالضابطة والقانون، أي بالزواج. لاحظوا كم هو الزواج مهمّ[١].

وهذا الأمر ليس مختصًّا بالإنسان، ذلك أنّ ارتباط الموجودَين هو وسيلة لاستمرار الحياة. وهو موجود في النباتات وفي الحيوانات بنحو ما، وهكذا هو موجود في الإنسان، غاية الأمر، لأنّ الإنسان متميّز من قبل الله تعالى بالعقل والإرادة فقد حُدّدت لعلاقته الزوجيّة قواعد ورسوم، وذلك لإعطاء الأهميّة لحدث زواج الموجودَين وارتباط القلبين ببعضهما وإيجاد مؤسّسة جديدة في المحيط الاجتماعي للبشر. والقواعد والرسوم السالفة ليست مختصّة بالإسلام، فلجميع الأديان والملل قواعدها وقوانينها. بالطبع، لقد سعى الإسلام لجعل هذه الرسوم أكثر سهولة وبساطة. وأولى اهتماماً خاصاً للزواج، فقد شجّع الناس والشبّان والشابّات على أصل الزواج، كما شجّعهم على إدارة المؤسّسة الجديدة المتشكّلة بالزواج، وكذا على استمرار الارتباط الزوجي، والمواضيع الثلاثة هي مورد تأكيد الإسلام.

وعن أصل موضوع الزواج، ورد عن النبيّ ﷺ أنّه رأى شابًّا أعجبه مظهره، فناداه وسأله: هل لك حرفة، فقال: لا، قال النبيّ: ألك زوجة، قال لا. فأعرض النبيّ ﷺ عنه وقال: «سقط من عيني». لاحظوا

(١) ١٩٨٤/٣/٢.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 30 8/14/18 11:40:24 PM

ما للزواج من أهميّة، بحيث أُنّب المتهرّب منه كما أُنّب العاطل عن العمل[١].

لذا، من الأهمّيّة بمكان أن نلتفت إلى نظرة الإسلام فيما يتعلّق بالزواج. والمسألة الأولى في هذه النظرة، هي أنّ الإسلام يحثّ الشباب على الزواج، وفي عمر مبكر أيضًا، أي حين الحاجة إليه. ولا يعني هذا أنّنا نصرّ على الزواج بأسرع ما يمكن، وأنّ ذلك هو الأفضل، لا، بل أن يتمّ الزواج عندما يشعر الإنسان بالحاجة إليه. سواءً كان شابًّا أم فتاةً. ولا يسمحنّ بمرور السنين على هذا الأمر[٢].

لقد أكّد الرسول الأكرم ﷺ على الزواج المبكر للشباب - سواء الشبّان أم الفتيات - وبالطبع، برغبتهم واختيارهم، لا أن يقرّر الآخرون عنهم. وعلينا نحن أيضًا أن نروّج لهذه المسألة في مجتمعنا. على الشباب أن يتزوّجوا قبل أن يتجاوزوا مرحلة الشباب، وفي مرحلة الحماس والشوق والرغبة. وهذا مخالف لفهم الكثير من الأشخاص الذين يرون بأنّ الزيجات في مرحلة الشباب هي زيجات غير ناضجة ومحكومة بعدم الاستمراريّة. والعكس هو الصحيح، فإذا ما تمّت بالصورة الصحيحة ستكون زيجات مستدامة وجيّدة، وسيعيش الرجل والمرأة في مثل هذه العائلات حالة وفاق تامّ.

وما يفعله البعض من تأخير سنّ الزواج إلى أواسط العمر، كما

(١) ٢٠٠٣/٣/٤.

(٢) ١٩٨٤/٣/٩.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 31 8/14/18 11:40:24 PM

هو رائج ومعمول به في العالم الغربي والحضارة الغربيّة، هو مثل معظم أفكارهم المغلوطة، مخالف لفطرة البشر ومصلحتهم، وناشئ من إقبالهم على الشهوة والتحلّل من القيود[١]. كان هذا دأب بعض الثقافات الدخيلة، حيث أدخلها الأوروبيّون إلى بلادنا، وقالوا إنّ على الشباب أن يؤخّروا زواجهم حتّى ينهوا تعليمهم ويحصلوا على عمل، ولا أعلم إن كان لا بدّ للعمل هذا أن يكون إداريًّا أم لا؟ ومن ثمّ يتزوّجون. كما لا معنى لزواج الفتيات في أوائل سنّ البلوغ، وينبغي عليها الانتظار حتّى تكبر وتخبر كلّ شيء في هذه الدنيا، ومن ثمّ تتزوّج. كان هذا رسم الأوروبيّين. وهو أمر سيّئ جدًّا. لأنّهم يؤخّرون الزواج ليس من باب أنّهم لا يعتقدون بحاجة الشباب الجنسيّة في سنّ الشباب، بل إنّهم يعون ذلك تمامًا ويؤمنون بأنّ الحاجة الجنسيّة موجودة، غاية الأمر أنّهم يرون أنّ على الشباب في مرحلة الشباب قضاء حاجاتهم الجنسية بشكل حرّ، أي عبر ذلك الشيء الذي نعتبره نحن فسقًا ومعصيةً ويؤدّي إلى تخريب وضع المجتمع.

لذلك أيضًا، لم يكن ارتباط الزوج والزوجة الغربيّين والمتغرّبين ارتباطًا محكمًا وقويًّا. انظروا إلى الأُسر القديمة، يعيشون مع بعضهما خمسين، ستين، سبعين عامًا، وبعد ذلك عندما يموت أحد هذين العجوزين، يعيش الآخر لسنوات في حال عزاء عليه. لقد أُقيم بناء الزواج على المحبّة، كانا يكنّان المحبّة والإخلاص الواحد منهما للآخر،

(١) ١٩٩٨/٤/١٥.

.indd 32 8/14/18 11:40:24 PM

ولم يجذبهما خارج إطار الأسرة شيء في مجال الجنس والعلاقة الجنسيّة، لكنّ المرأة والرجل الغربيّين ليسا كذلك، الأسرة عندهم وحدة لا أساس لها، ليست محكمة، سرعان ما تتلاشى، والطلاق كثير، وحيث لا يوجد طلاق يكون الطلاق عمليًّا. فالمرأة والرجل قد أمضيا فترة شبابهما – لا أقول كلّهم، بل معظمهم كانوا كذلك ومعظمهم الآن كذلك – من دون أن يكونا محتاجين إلى بعضهما الآخر، وقد أقبلا – بعد ذلك – على الزواج بعد إشباع رغباتهما والإحساس بعدم الحاجة. مع الملاحظة، أنّهما لم يقيّدا نفسيهما في إطار الأسرة. لا هي ولا هو، والشيء الذي يربطهما ببعضهما هو غرفة، وشقّة سكنيّة، ومكان ماديّ، لا أمر معنويّ ورابطة روحيّة. فما هو عليه تلك الأُسر والعائلات، ليس بعائلة.

إنّ المرأة والرجل الكبيرين عندما يتقدّمان في السنّ – وتكون شيخوختهما قبل أوانها، فالشخص ذو الستّين عامًا يكون رجلًا عجوزًا بكلّ ما للكلمة من معنى – فهذان لن يعودا يشعران بلذّة الحياة، أبناء الستّين عامًا عندنا يصبحون يعدّون الأحفاد وما جنوه من أولاد، لقد أصبحوا الآن ثلاثين، اثنين وثلاثين، أمّا [الغربيّون] فلا، فهم منفصلون من الأساس، لأن هذه المؤسّسة، لم تكن قائمة منذ البداية على المحبّة والحميميّة، بل كانت قائمة على البرودة وعدم الاكتراث وعلى الشبع ... بالطبع، لا أقول إنّهم كلّهم هكذا، وإنّ عائلاتنا وأسرنا كلّها حميميّة وجيّدة، نعم، الشكل الغالب هو هكذا، الشكل الغالب عندنا هو هكذا، والشكل الغالب عندهم هو ذاك. وقد أدخلوا هذا

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 33 8/14/18 11:40:24 PM

الأمر إلى إيران أيضًا، وإلى البيئات الإسلاميّة. والإسلام لا يقبل بهذا. الإسلام يقول لا، فليتزوّج الشابّ والفتاة في بداية الإحساس بالحاجة إلى الزواج، وليشكّلا أسرة، ماذا ينتظران؟ لذا يقول: «إنّ شرّ الناس العزّاب»، سواءً الشابّ أو الفتاة. أي إنّ الذي يحتاج إلى امرأة ولا يتزوّج، والتي تحتاج إلى رجل ولا تتزوّج فهما شرّ الناس.

[المسألة التالية] هي أنّ الزواج نعمة إلهيّة كبرى، وحيث إنّ لكلّ نعمة شكرًا، يكون شكر هذه النعمة بالحفاظ على رابطة الزواج قويّة ومحكمة، وبعدم السماح للمشاكل والأحداث، والضغائن، والانتقادات غير البنّاءة، والجدالات الكثيرة والنفقات المضرّة، بأن تزلزل هذه الرابطة وهذه المؤسّسة العائليّة التي تأسّست وتشكّلت بصيغة العقد الذي أجريناه[١]. بصيغة العقد هذه التي نتلفّظ بها وننشئها، وهي أمر اعتباريّ ـ توجد علاقة اعتباريّة بينكما، وينبغي على الشابّ والفتاة أن يبذلا سعيهما ليحافظا على هذه العلاقة[٢].

الجميع يهدف إلى أن تقوم هذه المرحلة وهي المرحلة الأساس من حياة الإنسان على الهناء والسلامة وسعادة الطرفين. وعليكما أنتما أن تعملا على أن تكون كذلك. بناءً عليه، كلّ أمر يضعف ركن العائلة، يجب أن يُعدّ ممنوعًا من قبلكما. فبعض الشكايات والتذمّرات التي لا طائل منها، والتوقّعات الكبيرة، والقيود غير المجدية، تؤدّي إلى

(١) ٢٠٠٣/٦/٩.

(٢) ١٩٩١/٩/١١.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 34 8/14/18 11:40:25 PM

تعكير جوّ الأسرة الودّيّ والصافي. وهذا الصفاء والودّ لا يتأتّيان عبر المال والأوامر وأمثال هذه الأمور[١]. حذارِ أن تضعف هذه المؤسّسة من خلال الشكايات، والضغائن، وكثرة التطلّبات والتوقّعات، وعدم المودّة، وأحيانًا عبر تدخّل الآخرين وأمثالها. الشيء المهمّ هو أن يسعى كلّ من الشابّ والفتاة إلى الحفاظ على هذه العلاقة الزوجيّة.

كيف يمكن لكم الحفاظ على هذه العلقة؟ بالطبع، الأناس العاقلون والأذكياء وذوو الإحساس والوجدان الصادق يجدون الطريق لذلك. وهذا يحصل عن طريق الثقة، والحبّ المتبادل. أن لا تفرض المرأة على الرجل شيئًا وتظلمه، ولا يظلم الرجل المرأة ويكون متطلّبًا، أن يكونا كرفيقين وشريكين، مخلصين لبعضهما ومقرّبين لتُحفظ هذه المؤسّسة[٢]. وإذا ما عُمل بمقتضى ذلك التكليف، سيكون هذا العقد مباركًا، ويصبح مباركًا أكثر إن شاء الله بفعل أيديكم. إحدى الأمور التي تجعل العقد مباركًا، هو أن يشعر كلّ من المرأة والرجل بأنّ عليهما في هذه المرحلة الجديدة من الحياة وظائف ينبغي لهما أداؤها. ادخلوا هذه المرحلة الجديدة من الحياة بهذا الإحساس. لأنّ الزوجين في الحياة الأسريّة مكمّلين لبعضهما الآخر، ولا واحد منهما كامل من دون الآخر. لا تظنّوا بأنّ أحدهما هو الأصل، والثاني هو الفرع، الزوج هو الأصل مثلًا، والزوجة هي الفرع، أو طبقًا لبعض العادات الأخرى، الزوجة هي الأصل والزوج هو الفرع وتابع لها، لا، لا

(١) ٢٠٠٢/٩/١٩.

(٢) ١٩٩١/٩/١١.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 35 8/14/18 11:40:25 PM

أحد منهما هو الأصل ليكون الآخر فرعه، ولا أحد منهما فرع للآخر، ومجموع هذين مع بعضهما وإلى جانب بعضهما هو الأصل، وكلّ منهما محتاج للآخر، ليس فقط الاحتياج الجنسي والشهواني، بل الاحتياج الروحي، والاحتياج الأخلاقي، والديني، والاحتياج من أجل استمرار النسل البشري. المرأة مصدر طمأنينة وسكون الرجل، والرجل مصدر راحة المرأة. ولا يعني هذا أنّ لأحد منّة على الآخر، لا، فهما كمصراعي الباب، من دون أحدهما يكون [الباب] ناقصًا. والزوج هو القرين والمماثل، أي المجموع الذي يكون جزؤه ناقصًا من دون الجزء الآخر. ادخلوا الحياة الزوجيّة بهذه الروحيّة[١].

لاحظوا ما تقول الآية الكريمة عن الرجل والمرأة وخاصّة في داخل الأسرة: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾[٢] أي [خلق] لكم أيّها الرجال النساء، وأيّتها النساء الرجال. ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ فهما ليسا من طبيعتين مختلفتين، ولا في مرتبتين مختلفتين، هما حقيقة واحدة، وجوهر واحد وذات واحدة. بالطبع هما مختلفان في بعض الخصائص، لأنّ وظائفهما وتكاليفهما مختلفة. بعدها يقول: ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾، أي إنّ الزوجيّة واختلاف الجنس في طبيعة البشر كانت من أجل هدف كبير، ألا وهو السكون والطمأنينة. لتجدوا إلى جانب الجنس الآخر لكم وضمن إطار الأسرة – الرجل إلى جانب المرأة، والمرأة إلى جانب الرجل – السكون والطمأنينة. فبالنسبة للرجل، أن يأتي إلى

(١) ١٩٨٤/٥/٤.

(٢) سورة الروم: ٢١.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 36 8/14/18 11:40:25 PM

منزله ويجد جوًّا آمنًا، وامرأة لطيفة ومحبّة وأمينة إلى جانبه، لهو سبب للطمأنينة، وهكذا، بالنسبة للمرأة، أن يكون لديها رجل وملاذ تعشقه ويكون لها كالحصن المنيع - ذلك أنّ الرجل أقوى جسديًّا من المرأة - لهو من حسن الحظّ، ومصدر للطمأنينة والسعادة. هذا ما تؤمّنه الأسرة لكليهما. لكي يجد الرجل الطمأنينة يحتاج إلى امرأة في جوّ عائليّ وأسريّ، وكذا المرأة لتحصل على الطمأنينة تحتاج إلى الرجل ضمن جوّ الأسرة والعائلة. ﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ كلاهما يحتاجان إلى بعضهما البعض من أجل تحصيل السكون والطمأنينة.

أكثر ما يحتاج البشر إليه هو الطمأنينة. وسعادة الإنسان تكمن في بقائه آمنًا من الاضطراب والتأزّم النفسي وفي أن يبقى متحلّيًا بالطمأنينة النفسيّة والروحيّة، وهذا ما توفّره الأسرة للإنسان، رجلًا كان أم امرأة. العبارة التالية لافتة وجميلة جدًّا. يقول تعالى: «وجعل بينكم مودّة ورحمة». العلاقة الصحيحة بين الرجل والمرأة هي علاقة المودّة والرحمة، في أن يحبّا ويعشقا بعضهما البعض، وكذلك في أن يكونا رحيمين ببعضهما. فالحبّ المترافق مع العنف ليس مقبولًا، وكذا الرحمة من دون المودّة ليست مقبولة هي الأخرى. فالطبيعة الإلهيّة للرجل والمرأة في محيط الأسرة هي طبيعة توجد فيما بينهما علاقة المودّة والرحمة: «مودّة ورحمة»[١]، والعامل الذي يربط الأسرة ببعضها هو عامل المحبّة[٢].

(١) ١٩٩٧/١٠/٢٢.

(٢) ٢٠٠٢/٦/١٩.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 37 8/14/18 11:40:26 PM

عليكم أن تقدّروا هذه العلاقة وتعدّوها نعمة إلهيّة وتحافظوا عليها[١]. إنّ كلّ ما تملكونه هو من الله ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[٢] لكنّ الالتفات إلى هذه النعمة وإلى أيّ نعمة أخرى مهمّ جدًّا، فالإنسان يغفل عن الكثير من النعم[٣]. البعض عندما يتزوّجون لا يدركون ماذا يحدث، يشعرون وكأنّهم ذاهبون إلى ضيافة الغير. الاحتفال والدعوة [إلى العرس]، هو جوّ جديد له متعة عابرة. بعض العرسان يظنّون أنفسهم ذاهبين إلى ضيافة أحدهم، والحال أنّ الأمر ليس كذلك، فبالزواج تظهر مسؤوليّات والتزامات. حتمًا، تظهر للإنسان إلى جانب هذه الالتزامات نِعم وبركات تجعلها عذبة وجميلة[٤].

البعض يتزوّجون، ويحصلون على زوج جيّد أيضًا، يحيون حياة جميلة وجيّدة ولا يدركون أيّ نعمة هذه وأيّ حدث مصيريّ ومهمّ يعيشونه. وعندما لا يدركون ذلك لا يشكرون هذه النعمة، وبهذا يُحرمون من الرحمة الإلهيّة التي ينالها الإنسان بالشكر. لذا ينبغي على الإنسان أن يلتفت كم هي عظيمة هذه النعمة.

وكيف يكون شكر هذه النعمة؟ أحيانًا يشكر الإنسان بلسانه فقط ويقول: «الشكر لله» وقلبه لا يعي ما يقول وغير متوجّه إلى هذا الشكر! وهذا ليس سوى لقلقة لسان لا أهمّيّة لها. وإذا ما دعا الإنسان ربّه بهذا

(١) ٢٠٠٣/١/٢.
(٢) النحل: ٥٣.
(٣) ٢٠٠٢/٦/١٩.
(٤) ٢٠٠٢/١٠/٣.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 38 8/14/18 11:40:26 PM

الشكل، فإنّ دعاءه لن يتجاوز فاهه ولسانه ولن يجد طريقه إلى عرش الإجابة الإلهيّة. أحيانًا يكون الإنسان شاكرًا بقلبه حقيقة، وشاكرًا لله حقًّا. وهذا أمر بالغ الأهميّة، إنّه يدرك بأنّ الله تعالى قد أنعم عليه بنعمة، فيشكره واقعًا. هذا هو الشكر المطلوب، غاية الأمر، أنّه يلزمنا حين نشكر الله تعالى أن نقوم بعمل، بحركة، أن نتّخذ موقفًا على أساس هذا الشكر، حسنٌ، والآن وقد أنعم الله تعالى عليكم بهذه النعمة، ماذا عليكم أن تفعلوا؟ لم يطلب الله تعالى ويتوقّع منّا الكثير. [كأن يقول الله تعالى مثلا] ها أنا قد أنعمت عليكم بهذه النعمة، فلتذهبوا وتؤدّوا ذلك العمل الشاقّ، لا. ما يتوقّعه منّا إزاء هذه النعمة وكلّ نعمة هو أن نتعاطى معها بشكل جيّد، وهو ليس بالمطلب الصعب. بما أنّا أنعمنا عليك بهذه النعمة، فلتحسن التعامل معها وإزاءها. وهذا التعامل الجيّد في الإسلام قد عُيِّن كخُلقٍ وشعارٍ للأسرة، أن كيف ينبغي لك أن تعيش لتكون هذه الحياة جيّدة. بالطبع، لقد بُيّنت [هذه المطالب] في الكتب، ورُدّدت على الألسن، أكتفي هنا بعرض بعضها[١].

التوصية الأولى لي هي أن نعدّ ظاهرة تشكيل الأسرة ظاهرة مهمّة وعظيمة[٢]. ينبغي إيلاء الأهميّة بالنسبة للبيت، ولا يمكن تصوّر الإنسان من دون بيت ومأوى. كلّ إنسان يحتاج إلى البيت وجوّ البيت. وروح جوّ البيت عبارة عن الأسرة، علينا إيلاء الأهمّيّة لهذا الأمر،

(١) ٢٠٠٢/٦/١٩.

(٢) ٢٠٠٢/١٠/٣.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 39 8/14/18 11:40:26 PM

والتدبّر والتأمّل فيه[١]. ولهذه المرحلة شرائط ووظائف وآداب، وتلقى على عاتق الإنسان تكاليف، يتحمّل فيها الإنسان مسؤوليّات ويحقّق منافع، كلّ هذه الأمور تكون إلى جانب بعضها البعض. المميّز الأساسي لهذه المرحلة هو أنّ مؤسّسة اجتماعيّة جديدة تتشكّل. وعلى الرغم من أنّ الزواج يعود على الرجل والمرأة ببركات وفوائد كثيرة، من قبيل إنجاب الأولاد، والاستمتاعات الجنسيّة، والكثير من الأمور الأخرى، إلّا أنّ هذه كلّها تدور حول محور مؤسّسة الأسرة، هذا أصل.

لذا، ينبغي أن يكون كلّ اهتمامكم وسعيكم في المحافظة على مؤسّسة الأسرة هذه في الظروف كلّها، وهذا مثله كمثل دخول خليّة جديدة في خلايا جسد المجتمع المتغيّرة دومًا. فخلايانا تتبدّل بشكل دائم، وينبغي أن تظهر خلايا جديدة وتنمو، ليبقى أوّلًا، هذا البدن حيًّا، وثانيًا، ليتمكّن من النموّ والتقدّم. إنّكم تضيفون خلايا جديدة إلى جسد المجتمع، فاسعوا لأن تكون هذه الخليّة سليمة ومفعمة بالنشاط والحيويّة ولأن تكون مصدر عزّ وفخر وتقدّم لهذا المجتمع ككلّ[٢]. كلّ عائلة هي خليّة في جسد المجتمع وبدنه. عندما تكون هذه العوائل سليمة، ويكون تعاملها صحيحًا، سيكون جسد المجتمع وبدنه سليمًا[٣]. وهذا ليس بمعنى أنّه عندما تكون هذه الخليّة سليمة فإنّ السلامة ستسري إلى الخلايا الأخرى، أو إذا

(١) ٢٠١٣/٥/١١.
(٢) ١٩٨٣/٠٩/٠٩.
(٣) ٢٠٠٢/٥/٢٩.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 40 8/14/18 11:40:27 PM

كانت الخليّة غير سليمة، فإنّ عدم السلامة سيسري إلى الخلايا الأخرى، بل بمعنى أنّها إذا كانت سليمة كان البدن سالمًا. فالبدن ليس شيئًا سوى الخلايا. كلّ جهاز هو مجموعة من الخلايا. إن استطعنا أن نجعل الخلايا سالمة، يكون لدينا جهاز سالم. المسألة على هذا القدر من الأهميّة[١].

إن أردتم أن يكون الأمر هكذا، عليكم أن تلتزموا بالآداب والحدود الدينيّة التي حُدّدت للأسرة[٢]. كلّ شيء يستوجب حفظ هذه الرابطة وهذه المؤسّسة العائليّة هو مرضيّ وحسن عند الله تعالى. وإذا ما أدّى شيء ـ لا قدّر الله ـ إلى تخلخل أركان الأسرة ، فهو خلاف المصلحة وغير مرضيّ. وينبغي اجتنابه بشدّة[٣]. وهذا الحدث ليس كباقي أحداث الحياة، هو مفصل، ومفترق طرق. البعض عندما يسلكون هذا الطريق [الحياة الزوجيّة] ويجدون أمامهم مسارات مختلفة، إمّا بسبب ظروفهم، وظروف الزوج، أو بسبب مكانتهم العائليّة، لا يمكنهم سلوك الطريق المستقيم، لكنّ البعض يستطيعون. إن أردتم أن تسلكوا الطريق المستقيم عليكم أن تراعوا الموازين الشرعيّة، وأن تعدّوا الأخلاق التي حُدّدت في الشرع المقدّس للأسرة، مهمّة. وأوّله أن تعرفوا قدر هذه المؤسّسة الجديدة[٤]. الأسرة محلّ هدوء واستقرار

(١) ٢٠١٢/١/٤.
(٢) ٤٩٨٣/٠٩/٠٩.
(٣) ٢٠٠٣/١/٢.
(٤) ٢٠٠٢/١٠/٣.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 41 8/14/18 11:40:27 PM

الإنسان. ولن يتذوق أيّ إنسان الطعم الواقعي للحياة الإنسانيّة، من دون أسرة مريحة وهادئة[١].

كلّ أسرة هي محلّ ومركز لتكامل عدد من أبناء البشر وتربيتهم، حيث يربّي مجموع الأسر مجموعة من البشر. إن شتّتم شمل الأسرة وجعلتم الأولاد ينشأون في كنف الأجداد والأقرباء بدلًا من كنف الأسرة، أو جمعتموهم ووضعتموهم في دار أو مؤسّسة أو ميتم، كما يُحتضن البيض في عمليّة التوليد والتفقيس، كأن يذهب شخص إلى الحاضنة ويفقسها ويربّيها، فإنّكم بذلك لن تربّوا إنسانًا كاملًا. حسنٌ، هذه هي طبيعة الإنسان، حيث خلق الله سبحانه هذا الموجود بنحو متميّز عن سائر الموجودات الأخرى. فقد خلق الله سبحانه بعض الموجودات بنحو لا يرى الصغير أباه ولا أمّه، حيث تموت الأمّ أو الأب عند وضع بيضة هذا الصغير. وهذه هي الطبيعة أساسًا. بعض الحيوانات يبقى بشكل غريزي سواءً كان أبواه يحتضنانه أو لا، وينشأ مثل والديه سواءً رآهما أم لم يرهما. أمّا الإنسان فليس كذلك.

لقد خلق الله تعالى الإنسان بنحو يكون أوّلًا متعلّمًا، عليه أن يتعلّم الكثير من الأمور. ثانيًا، إذا ما تربّى على المحبّة والصدق والدقّة في البيئة الأسريّة، وفي حضن الأبوين، فلن يكون لديه نقص من الناحية النفسيّة، أمّا لو سقط منذ صغره من تلك البيئة الصغيرة إلى بيئة كبيرة، فلن يتفتّح هذا البرعم كما ينبغي له أن يتفتّح. هذه هي خاصّيّة

(١) ١٩٩٠/٠١/٠٥.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 42 8/14/18 11:40:27 PM

الإنسان. لذا، فقد أودع الله سبحانه هذه المحبّة في قلب الأبوين والتي من خلالها يتربّى بنو البشر. هذه المحبّة هي من طبائع البشر، لذلك أيضًا ترى كلّ ابن يكنّ محبّة لوالديه. والمحبّة نفسها التي تكنّونها لأولادكم يكنّها لكم آباؤكم وأمهاتكم. وسيكنّها أبناؤكم لأولادهم أيضًا. وتوجد في الزواج هذه الخاصّيّة وهي أنّه يشكّل بيئة الأسرة[١].

الأسرة هي كلمة طيّبة[٢]، وخاصّيّة الكلمة الطيّبة أنّها حينما توجد في مكان ما يرشح عنها دائمًا البركة والخير وينفذا فيما حولها. والكلمة الطيّبة هي تلك الأشياء التي وهبها الله تعالى للبشر بذلك الأصل والأساس الصحيح [إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٌ﴾][٣].

الأسرة هي مجتمع مصغّر تتشكّل في البداية من الزوجة والزوج، ومن ثمّ تكبر وتتوسّع بمجيء الأولاد، وينجب الأولاد أيضًا أولادًا، فتصبح كالشجرة المورقة والمتفرّعة وتثمر. والله سبحانه يحبّ هذه الاجتماعات الصغيرة[٤].

لا يمكن للمجتمع الإسلامي أن يتقدّم من دون وجود مؤسّسة الأسرة السليمة، والنشيطة والفعّالة في البلد، وخاصّة في المجالات الثقافيّة. كما لا يمكنه التقدّم في المجالات الأخرى بالطبع، من دون العائلات

(١) ١٩٨٤/٢/٤.

(٢) إشارة إلى الآية ٢٤ من سورة إبراهيم المباركة: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ...﴾.

(٣) ٢٠٠١/٣/٥.

(٤) ٢٠٠٣/١/٢٣.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 43 8/14/18 11:40:27 PM

والأسر السليمة. إذًا، فلا بدّ من وجود الأسرة. ولا يقولنّ أحد الآن، إنّ التقدّم والتطوّر موجود في الغرب في ظلّ تفكّك الأسرة. إنّ ما يحدث اليوم من خراب في مؤسّسة الأسرة، وتتعاظم مؤشّراته يومًا فيومًا، وستظهر آثاره. لا ينبغي الاستعجال. فالحوادث العالميّة والتاريخيّة ليست سريعة النتيجة والأثر، إنّما تظهر آثارها تدريجيًّا، كما أثّرت وتؤثّر إلى الآن. في تلك الأيّام حيث حقّق الغرب هذا التطوّر، كانت العائلات هناك لا تزال على حالها، حتّى مسألة تعاطي الجنسين فيما بينهما، فكانت تراعى فيها قوانين الأخلاق الجنسيّة، بالطبع ليس بالشكل الإسلامي، بل بالشكل الخاص بهم. إذا ما كان الشخص مطلعًا على المعارف الغربيّة، سواءً في أوروبا أم في أميركا فيما بعد، سيرى هذا الشيء وسيشاهده. فمراعاة الآداب والأخلاق بين الجنسين، كمسألة الحياء وتجنّب التهمة، هذه مسائل كانت موجودة يومذاك. والتحلّل والإباحيّة إنّما ظهرا هناك تدريجيًّا. يومها مُهّدت الأرضيّات لذلك إلى أن وصل الأمر إلى ما وصل إليه اليوم. وسيكتب وضع اليوم لهم غدًا مريرًا وصعبًا جدًّا[١].

وما ترونه الآن من سعي الغربيّين الكبير للترويج للشهوات في الدول الشرقيّة، والإسلاميّة، والآسيويّة، أحد أسبابه أنّهم يريدون من خلال هذا العمل تفكيك الأسر ليضعفوا ثقافة [شعوب هذه الدول] ويتمكّنوا من السيطرة عليها. فما دامت ثقافة الشعب قويّة، لا يمكن لأحد

(١) ٢٠١٢/١/٤.

.indd 44 8/14/18 11:40:28 PM

السيطرة عليه، ولا لجمه وامتطاؤه، وتسييره. إنّ الذي يجعل الشعوب ضعيفة دون حماية، ويجعلها أسيرة في أيدي الأجانب، هو فقدان الهويّة الثقافيّة. ويسهل هذا الأمر أيضًا على المستعمرين والأعداء من خلال تفكيك أسس العائلات في المجتمع[١].

عندما يتخلخل وضع الأسرة، تتلقّى الأخلاق الاجتماعيّة ضربة، وتنعدم بسهولة السنن القديمة والراسخة والباقية التي هي أساس سعادة المجتمعات وحاصل تجربة طويلة للشعوب. تعلمون أنّ المجتمع يحصل على مجموعة من القيم من خلال أفكار عظمائه وعقلائه الحكيمة -إن كانوا رجالًا إلهيّين- وتصبح هذه القيم أساسًا لحياة المجتمع، والتزامات، وأمور لم تُكتب في كتاب ما، لكنّها تُراعى وفاءً منهم لبعضهم البعض، ومن باب الأمانة. عندما ينهدم بنيان الأسرة، فإنّ هذه الأمور لن تنتقل بعدُ من جيل لآخر، ولن يتعلّم الأولاد شيئًا من آبائهم وأمّهاتهم، ولن يستطيعوا أن يورّثوهم الإيمان، والصفات والخصال النفسيّة، وهذه هي الخسارة الكبرى التي يتلقّاها المجتمع بسبب ضعف الأسرة[٢].

المجتمع من دون أسرة هو مجتمع مضطرب، ومهتزّ. هو مجتمع لا تنتقل فيه المواريث الثقافيّة والفكريّة والعقائد بسهولة من جيل لآخر. هو مجتمع لا تتحقّق فيه تربية الإنسان ببساطة وسهولة. عندما

(١) ١٩٩٨/٤/١٥.

(٢) ١٩٩٦/٨/٢٤.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 45 8/14/18 11:40:28 PM

يخلو المجتمع من الأسرة، أو يكون وضع الأسرة فيه متضعضعًا، فلن يحصل الإنسان فيه على التربية ولو كان ذلك في أفضل دُور التربية[١].

الأسرة الجيّدة تعني أن يكون الزوج والزوجة ودودين مع بعضهما، وفيّين ومخلصين، محبّين وعاشقين لبعضهما، يراعي أحدهما الآخر، ويهتمّ لمصلحته ويحترم شؤونه، هذا في الدرجة الأولى.

بعد ذلك، حين يُرزقان بالأولاد، يشعران بالمسؤوليّة إزاءهم ويسعيان إلى تنشئتهم وتربيتهم سليمين من الناحية الماديّة والمعنويّة، يعلّمانهم أمورًا، يوجبان عليهم بعض الأمور، ويمنعانهم عن بعضها، ويزرعان فيهم الصفات والخصال الجيّدة. مثل هذه الأسرة هي أساس جميع الإصلاحات الواقعيّة في بلد ما. لأنّ البشر يتربّون جيّدًا في ظلّ هكذا أسرة، ويترعرعون على الصفات الجيّدة، على الشجاعة، وعلى الفكر المستقل، على التفكر، والإحساس بالمسؤوليّة، والإحساس بالمحبّة والجرأة، والجرأة على اتّخاذ القرارات، على إرادة الخير – لا الشرّ – والنجابة.. حسنٌ، عندما يتحلّى الشعب في مجتمع ما بهذه الخصال والصفات، أي يكون محبًّا للخير، نجيبًا، شجاعًا، عاقلًا، مفكّرًا ومقدامًا، فإنّ هذا المجتمع لن يرى الشقاء والتعاسة[٢]. والمجتمعات التي تمتلك أسرًا كهذه، ستصل إلى الصلاح والنجاة،

(١) ٧٧/١٠/٢٩.

(٢) ١٩٩٨/١٢/٠٣.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 46 8/14/18 11:40:28 PM

وإذا ما وجد مصلح في المجتمع فيمكنه إصلاح مجتمعات كهذه. أمّا إن فقدت الأسرة، فإنّ أعظم المصلحين لن يمكنهم إصلاح المجتمع[١].

يريد الإسلام لهذه المؤسّسة أن تتشكّل وتتأسّس. وميزة الأديان وبالأخصّ منها الإسلام، هي أنّها جعلت الغرائز الجنسيّة وغريزة طلب الزوج عند الإنسان والتي هي غير الغريزة الجنسيّة، في خدمة تشكيل الأسرة، وعملت [الأديان] على أن تتشكّل مؤسّسة الأسرة وأن تستمرّ من خلال دعم الغريزة الجنسيّة، أو من خلال دعم الغريزة الأخرى التي هي أعمّ من الغريزة الجنسيّة. قد لا يكون للبعض حاجات جنسيّة في عمر معيّن، لكنّهم بحاجة إلى طلب الزوج، ويتوجّب عليهم أن يكون لهم زوج من الجنس المخالف، لا فرق في ذلك بين المرأة والرجل. فالسكن مصدر الراحة. لقد جعلت الأديان، وخاصّة الإسلام هذه الأمور داعمةً لتشكيل الأسرة.

لو تُرك البشر ليقضوا حاجاتهم الجنسيّة كيفما شاؤوا، لما تشكّلت الأسرة، أو لكانت مؤسّسة ضعيفة وخاوية، تتهدّدها الأخطار، قابلة للخراب، وتهزّها أيّ نسمة. لذا، ترون أنّه في أيّ مكان من العالم وُجدت الحريّة الجنسيّة، تكون الأسرة فيه ضعيفة بالنسبة نفسها، ذلك أنّ الرجل والمرأة [فيه] ليسا بحاجة إلى هذه المؤسّسة من أجل إشباع هذه الغريزة. أمّا في الأماكن التي يحكم فيها الدين ولا وجود

(١) ١٩٩٣/٠٩/٠٤.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 47 8/14/18 11:40:29 PM

للحريّات الجنسيّة، فكلّ شيء هنا [في مؤسّسة الأسرة] متوافر للمرأة والرجل، لذا، فإنّها تُحفظ وتبقى[١].

فإذا ما اشتغل كلّ من المرأة والرجل باللذات والاستمتاعات الجنسيّة في غير جوّ العائلة، [كأن تكون] في البيئة الاجتماعيّة، وفي أجواء الدراسة والتحصيل العلمي، وفي محيط العمل، وفي البيئات غير القانونيّة، فإنّ الخسارة الكبرى التي ستحصل هي تمزّق الرابطة القويّة بين المرأة والرجل في الأسرة واضمحلالها. ذلك الرجل الذي يشبع رغبته الشهوانيّة الجنسيّة خارج محيط الأسرة، ويرتوي، أو تلك المرأة التي لديها الحال نفسها، لا تشكّل الأسرة بالنسبة لهما تلك الجاذبيّة، التي تشكّلها للرجل والمرأة العفيفين، حيث لا يعرف الرجل أيّ امرأة غير زوجته ولا تعرف المرأة رجلًا غير زوجها[٢].

في أيّ مكان يُفسح فيه المجال للشهوات والتحلّل والتفلّت الأخلاقي، يستتبعه التفكّك العائلي، لا شكّ في ذلك. وإذا ما استمرّ هذا الأمر، سيحصل ما نراه اليوم بوضوح في الدول الغربيّة. وخاصّة في الأماكن التي يُروّج فيها أكثر للتحلّل الأخلاقي، ويكون محسوسًا بشكل أكبر. فالأسرة هناك تفتقد لمعناها الحقيقي.[٣] حبّذا لو تعكس مواقع التواصل الاجتماعي بعض الأخبار التي تصلنا من العالم الغربي عن

(١) ١٩٩١/٠٧/١١.

(٢) ١٩٨٦/١٠/١٠.

(٣) ٢٠٠٢/٦/١٩.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 48 8/14/18 11:40:29 PM

أجواء الأسرة ووضع المرأة والطفل والرجل، في كتاباتها، وذلك ليلتفت شعبنا أيّ نعمة كبرى يشكّل بناء الأسرة المتين والاهتمام بالأسرة في مجتمعاتنا[١].

لماذا يجب أن تتحوّل علاقة المرأة والرجل في جزء أساسيّ ومهمّ من العالم إلى تسلية مبتذلة كما يجري الآن؟ ففي كثير من مناطق العالم تحوّلت العلاقة بين المرأة والرجل إلى تسلية جذّابة، ومبتذلة إلى حدّ بعيد في كثير من البيئات الاجتماعيّة، بحيث منعت وتمنع كلّا من المرأة والرجل من النشاطات الاجتماعيّة، والسياسيّة، والأخلاقيّة والمعنويّة. إنّ الإسلام يرفض مثل هذا الأمر ولا يقبل به[٢].

في الخلقة الإلهيّة، المرأة والرجل كلاهما جزءا نظام الخلقة الأتمّ. ومن دون أيٍّ منهما يكون نظام الخلقة ناقصًا. وإذا ما عرفت المجتمعات الإنسانيّة جيّدًا مكانة كلّ من هذين الجنسين في الطبيعة البشريّة، واستفادت في الاتّجاه الصحيح، سيتحقّق ذلك النظام الإلهيّ الكامل، وليس فقط سيصل كل موجود إلى كماله الوجودي منهما كما ينبغي ولن يبقى أيّ استعداد مهدورًا وضائعًا، و لن يُظلم أحد، بل إنّ البشريّة ستستفيد من فيض هذا الانسجام والتعاون والاجتماع الصحيح للمرأة والرجل، استفادات جمّة وستسير قدمًا. لكلّ واحد من المرأة والرجل مكانته ومسؤوليّته. [ترجمة شعر]:

---

(١) ١٩٩٥/١٠/٤.

(٢) ١٩٨٨/٢/٦.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 49 8/14/18 11:40:29 PM

العالم مثل الوجه والخال والعين والحاجب كلّ شيء في مكانه جيّد[١].

لا يمكن أن نتساءل فيما يخصّ وجه ما، هل دور العين أهمّ في تكميل هذه الوجه أم دور الشفتين والفم، أو دور الوجنتين أو الانف، أيّ من هذه إن فقدت سيظهر القبح. وجمال الوجه يكون بوجود الكلّ، ولكلّ واحد من هذه أهميّة في مكانه. كلّ الأشياء في العالم هي هكذا في النظام الإلهي الأتمّ، والمرأة والرجل هما جزء من هذا النظام الأتمّ. في حال لم يكن أيّ منهما في مكانه سيكون وجه البشريّة ناقصًا، أو قبيحًا، أو غير ناضج، أو منفّر. ولا يحقّ لأيّ واحد من الجنسين أن يعدّ نفسه أوجب، وأكثر ضرورة وإفادة من الآخر. انطلاقًا من هذه النظرة، يقع الجميع على مستوى واحد، وللجميع دور واحد في عجلة الحياة البشريّة، ألا وهو القيام بعمله من أجل تكميل عالم الوجود ونظام الحياة البشريّة. وهذه وظيفة الجميع سواءً المرأة أو الرجل. إذًا، هذه هي النظرة الأساسيّة لوجود المرأة من وجهة نظر الحكمة الإلهيّة في خلقة المرأة والرجل[٢].

إنّ نظرة الإسلام إلى جنس الإنسان، تأتي في الدرجة الثانية، والنظرة الأولى وما يأتي في الدرجة الأولى هو إلى الحيثيّة الإنسانيّة فيه، والتي لا دور لجنس الإنسان فيها أبدًا. الخطاب فيها هو للإنسان.

(١) كلشن راز، الشيخ محمود شبستري.

(٢) ١٩٩٥/١١/١٣.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 50 8/14/18 11:40:29 PM

بالطبع، الآية تقول: «يا أيّها الذين آمنوا»، وليس «يا أيّتها اللواتي آمنّ»، أي صيغة آمنوا صيغة المذكّر وليست صيغة المؤنّث، لكن هذا لا يعني أبدًا بأنّ الرجل في هذا الخطاب مرجّح على المرأة، بل إنّ هذا ناشئ من عوامل أخرى، وهي عوامل واضحة بالنسبة إلينا. ولا نريد الآن أن ندخل في هذا النقاش، وأنه لماذا نعبّر في اللغة الفارسيّة على سبيل المثال، عن الناس بـ «مردم»، ونشتقّ هذه الكلمة من كلمة «مرد» (رجل) ولا نعبّر بـ «زنُم» [المشتقّة من كلمة «زن» بمعنى المرأة] ، وفي اللغة الإنكليزيّة human ولماذا man؟ وهذا لا يعني أنّ الثقافة الذكوريّة هي التي أوجدت مثل هذا الأمر، وتصرّفت في اللغة مثل هكذا تصرّفات، ولهذا الأمر عوامل أخرى. بالنهاية، الرجل في داخل الأسرة يشكّل الوجهة الخارجيّة، والمرأة تشكّل الوجهة الداخليّة. وإن أردتم أن ننمّق الكلام أكثر نقول: الرجل هو قشرة حبّة اللوز، والمرأة هي اللبّ، ويمكن الاستفادة من أمثال هذه التعابير. الرجل أكثر ظهورًا، هكذا هي بنيته، وقد أعدّه الله سبحانه وهيّأه لهذا العمل، وأعدّ المرأة لعمل آخر. بناءً عليه، فالظهور والبروز في الرجل أكثر، [وهذا الأمر] بسبب هذه الخصائص والميّزات، لا بسبب الأفضلية. أمّا فيما يتعلّق بشؤون الإنسان الأساسيّة ، المرتبطة بالإنسان، فلا فرق بين المرأة والرجل. حسنٌ، انظروا، في مسألة التقرّب إلى الله تعالى، هناك نساء كالسيّدة الزهراء عليها السلام ، والسيّدة زينب عليها السلام ، والسيّدة مريم عليها السلام مقامهنّ غير متصوّر لأمثالنا. في الآية الشريفة من سورة الأحزاب لا فرق بين المرأة والرجل، ولربّما السبب في ذلك يعود إلى أنّها أرادت

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 51 8/14/18 11:40:30 PM

أن تنسف تلك التصوّرات الجاهليّة المرتبطة بالمرأة: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[١] فمن الإسلام إلى الذِّكر هناك مسافة، وسلسلة شهادات متدرّجة. وإن دقّق المرء في هذه التعابير يجد هذا: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. في كلّ منزلة يوجد الرجل والمرأة، الرجل الخاشع، والمرأة الخاشعة، الرجل المتصدّق والمرأة المتصدّقة لا فرق بينهما. يقول تعالى في سورة آل عمران المباركة بعد تلك الآيات التي يبتدئ كلّ منها بكلمة «ربّنا»: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[٢].

لا فرق بين الرجل والمرأة[٣]. بالطبع، عندما نقول إنّ لكلّ منهما وظيفة أساسيّة، فلا يعني هذا أن لا نطاق مشترك بينهما. فالنطاقات المشتركة بينهما كثيرة. حتّى أنّ النطاقات المشتركة بين الجنسين (المرأة والرجل) أكثر وأوسع بكثير من النطاقات الخاصّة بكلّ منهما. وعلى الرغم من أنّ لكلّ منهما وظيفة خاصّة لا يقدر الآخر على القيام بها، أو على القيام بها بالنحو الجيّد والصحيح، إلّا أنّه يوجد بين هذين النطاقين الخاصّين [بكلّ منهما على حدة]، مجال واسع،

(١) الأحزاب: ٣٥.

(٢) آل عمران: ١٩٥.

(٣) ٢٠١٢/١/٤.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 52 8/14/18 11:40:30 PM

هو النطاق المشترك، وهو مجال الحياة الاجتماعيّة نفسه، والحياة السياسيّة، والحياة الاقتصاديّة، والإبداعات البشريّة وسائر الفنون والأعمال التي يمكن للإنسان القيام بها، ما عدا تلك المتعلّقة بالنطاق الخاصّ بالمرأة أو الرجل. في النظام الإسلامي، ينبغي النظر إلى الرجل والمرأة بهذه الطريقة. فلكلّ منهما موقعه الذي لا ينبغي له تركه فارغًا، لكن هناك مجال واسع أيضًا عليهما معًا أن يغطّياه من خلال الشراكة والتعاون وإعمال الطاقات، ولا يسمحا لهذا النطاق الوسطي [المشترك] أن يضيع. ١٣/١١/١٩٩٥.

النساء يشكّلن نصف المجتمع الإنساني، وأيضًا ذلك النصف الذي إذا ما أرادت نظرة الإنسان الثاقبة أن تقيس دوره بأدوار الآخرين، لوجدت دور هذا النصف أكثر حساسيّة ولطافة، وأبقى وأشدّ تأثيرًا في حركة التاريخ الإنساني وفي سير البشريّة نحو الكمال. لقد خلق الله تعالى المرأة على هذه الشاكلة ٢٧/٧/١٩٩٥.

هذه هي النظرة الإلهيّة لقضيّة المرأة والرجل. يوجد فيما يتعلّق بخلقة المرأة والرجل مسألة أصبحت منشأ الانحرافات والأخطاء والمناهج الخاطئة، وكان لها للأسف وجود طوال القرون المتمادية، ولا تزال اليوم موجودة، وتلك المسألة هي أنّ المرأة والرجل مختلفان في بنيتهما الطبيعيّة، أي إنّهما مختلفان في البنية الجسديّة والماديّة، وفي البنية العاطفيّة والمعنويّة والروحيّة. وهذه الاختلافات مرتبطة بإمكانيّة أداء وظيفتهما الخاصّة والتمكّن منها، وهي أيضًا في محلّها. ١٣/١١/١٩٩٥.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 53 8/14/18 11:40:30 PM

الرجل في نظر المرأة مظهر الاعتماد، وموضع الاتّكاء والاستناد. وهو يجسّد محبّته لها بهذا الشكل. لكلّ منهما دور منفصل عن الآخر، وكلا الدورين لازم، وخلط هذين الدورين ببعضهما هو عمل مخالف للطبيعة وتضييع لفرصة جيّدة. وهذا كأن يأتي بستانيّ جيّد وينشئ بستانًا هنا بمهارة، فنأتي نحن بعدها ونركله ونخرّبه ونعيث فيه الخراب عملًا بمزاجنا. عندما تنظر المرأة إلى الرجل، فإنّها تنظر إليه بعين العشق والمحبّة، وإلى كونه يمثّل دور السند الذي يمكن لها أن تستند إليه، حيث يمكن الاستفادة من قواه الجسميّة والفكريّة للسير قدمًا في أمور الحياة، [تنظر إليه] كمحرّك.

وعندما ينظر الرجل إلى المرأة فإنّه ينظر إليها على أنّها مظهر الجمال، واللطافة، والأنس الذي يمنح الإنسان الهدوء والراحة. فالرجل موضع الاستناد على صعيد مسائل الحياة الظاهريّة، والمرأة بدورها موضع الاستناد فيما يتعلّق بمسائل الحياة الروحيّة والمعنويّة. إنّها عالم من الأنس والمحبّة ويمكنها بذلك الجوّ المفعم بالمحبّة إخراج الرجل من جميع همومه وغمومه. هذه هي قدرات الرجل وقدرات المرأة الروحية.

هكذا هي الطبيعة أيضًا، تعمل، إلّا أنّنا لا نفهمها، ولا نتجاوب معها. أحيانًا، يُخرِج الرجل بأخلاقه السيّئة، وبفرض الأعمال الصعبة على المرأة، وبتوقّعاته الكثيرة، وبالإهانة، منبع الطاقة هذا عن طوره، فلا تعود المرأة، ذلك المظهر الذي يمكنه من الناحية المعنويّة أن يبعث الهدوء في الإنسان ويمنحه السكن، على حالها. وتصبح أحيانًا متبرمة

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 54 8/14/18 11:40:31 PM

وشاكية. وقد تخطئ المرأة الخطأ نفسه أحيانًا فيما يتعلّق بالرجل، فبدل أن تنظر إليه على أنّه الداعم والسند الذي يمكن الاستناد والاعتماد عليه، والإفادة من استقامته ورزانته، تنظر إليه أحيانًا على أنّه خادم، وأحيانًا على أنّه مهرّج وغبيّ. بالنهاية، النساء مختلفات، البعض منهنّ يخطئ ويجترح كلّ أنواع الأخطاء. وبدل أن تستفيد من مصدر الطاقة والقوّة هذا، تحوّله إلى موجود مختلف تمامًا. هكذا تحدث مثل هذه الاختلافات ولا ينبغي السماح بحدوثها. يرى الإسلام بأنّ الرجل قوّام، والمرأة ريحانة، وهو لا يعتدي على المرأة ولا على الرجل، ولا يغفل حقّ المرأة ولا حقّ الرجل، بل ينظر إلى طبيعتهما بشكل جيّد. حتّى إنّهما يتعادلان في الميزان أيضًا، أي حين نضع هذا الجنس، جنس اللطافة والأنس والجمال والباعث للراحة النفسيّة في أجواء الحياة، في كفّة، ونضع الجنس الذي يتحلّى بالإدارة والعمل والذي هو موضع اعتماد المرأة والسند والملاذ لها في الكفّة الأخرى، ستتعادل هاتان الكفّتان. ولن ترجح هذه على تلك، ولا تلك على هذه. الآن تأتي بعض الاتّجاهات الخاطئة والتي لا تنادي بها المرأة فحسب، بل قد ينادي بها بعض الرجال أحيانًا، ويقولون لماذا لا نبدّل أجناس كفّتي الميزان؟ فإذا ما قمنا بتبديلهما الآن ماذا سيحصل سوى أنّكم تخطئون؟ وسوى أنّكم تخرّبون هذا البستان الجميل والمعطاء؟ إنّكم لن تفعلوا غير هذا، ولن تجنوا فوائد بعضكم البعض، وستحوّلون جوّ الأسرة إلى جوّ يفتقد للثقة، وسيشوب علاقة الرجل والمرأة ببعضهما الشكّ والترديد، وستفقدون ذلك الحبّ والعشق الذي هو الركن الأساسي في هذا المجال.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 55 8/14/18 11:40:31 PM

قد يحدث أحيانًا، ورأيتم [هذا في حياتكم] حيث يأخذ الرجل دور المرأة في البيت، وتصبح المرأة هي الحاكم المطلق، تصدر أوامرها للرجل، افعل هذا ولا تفعل هذا، والرجل مسلّم لها، هذا شكل. حسنٌ، مثل هذا الرجل لن يكون بمقدوره، بعد، أن يكون موضع اعتماد المرأة وملاذًا لها. فالمرأة تحبّ أن يكون لها ملاذ وملجأ جيّد، وليس من فائدة بعد لهذا. أحيانًا يفرض الرجال من الناحية الأخرى، شيئًا، لنفترض أنّ كلّ المشتريات والمعاملات وأمور البيت هي على عاتق المرأة. ويفرضها الرجل عليها لأنّه [على سبيل المثال] مشغول بالتدريس في الجامعة، أو بالعمل في الدائرة الفلانيّة، وليس لديه وقت ـ فأصل القضيّة هنا عدم امتلاك الوقت ـ وعليه الذهاب إلى العمل، فيتحتّم على المرأة هنا أن تقوم بهذه الأعمال. أي الأعمال الشاقّة وغير المحبّبة لها، بالطبع، قد تشتغل بها لبعض الوقت، لكنّها ليست من صلب أعمالها[١].

إن دقّقتم في التعابير الإسلاميّة حول المرأة لوجدتم تلك التعابير الواقعيّة تمامًا: «المرأة ريحانة وليست بقهرمانة». فالمرأة ريحانة أي وردة، وكيف ينبغي للإنسان التعاطي مع الوردة؟ إن عاملتها بقسوة فإنّها تذبل وتموت، وإن وضعتها في التربة وتعاملت معها بحسب فطرتها وطبعها، فستكون مصدرًا للزينة ومؤثّرة، وسيكون وجودها ظاهرًا وبارزًا.

(١) ٢٠٠٠/٣/١٢.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 56 8/14/18 11:40:31 PM

«وليست بقهرمانة»، والقهرمانة ليست بالمعنى المتداول في اللغة الفارسيّة [أي البطلة]، بل هو تعبير عربيّ مأخوذ عن الفارسيّة، يفيد مباشرةَ الأمور، فالقهرمان هو الذي يباشر الأمور ويتابعها [رئيس العمّال]. أي لا ينبغي لك في منزلك أن تعدّ المرأة مباشرة لأمورك. ولا تتصوّرنّ بأنّك الرئيس، وأنّ أعمال المنزل والأطفال وأمثالها هي بعهدة رئيس العمّال. وأنّ المرأة هي رئيس العمّال ويجب التعاطي معها كتعاطي الرئيس مع مرؤوسه!

لا، فالقضيّة أساسًا ليست هكذا. لاحظوا أنّ التعاطي هو تعاطٍ حقيقي ومعتدل يتماشى مع طبيعة المرأة. فالمرأة لا يمكنها أن تنسى طبيعتها[١]. وهي أساسًا لا تحبّ هذا العمل، بنحو طبيعي. كلّ واحد منهما يكون في الموقع اللا مناسب. هذه الحركات النسويّة القائمة في العالم اليوم، والتي ينتمي إليها الرجال والنساء من كلّ الأطياف تحت عنوان الدفاع عن حقوق المرأة، هي برأيي، لا تعرف حقوق المرأة أساسًا. ذلك أنّ الحقّ ليس أمرًا انتزاعيًّا، أنتم المتعلّمون تعون جيّدًا هذا الأمر. للحقّ منشأ طبيعي، والحقّ الواقعي والحقيقي هو ذاك الذي يكون له منشأ، ومنشأ طبيعي. وهذه الحقوق التي يطرحونها لا منشأ لها، وهي مبنيّة على أساس الأوهام والخيالات. وتلك الحقوق التي ينبغي أن تكون للمرأة والرجل، يجب أن تكون مستندة إلى الطبيعة، طبيعة المرأة وطبيعة الرجل، وإلى شكل وبنية كلّ من المرأة والرجل[٢].

(١) ١٩٩٧/٧/٢١.

(٢) ٢٠٠٠/٣/١٢.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 57 8/14/18 11:40:32 PM

وبشكل مختصر، إن أردنا أن نبيّن هذه الاختلافات، علينا أنّ نقول بأنّ المرأة في بنيتها الوجوديّة والطبيعيّة تتحلّى بلطافة أكثر من الرجل. لا نقول إنّ قوّتها أقلّ من قوّة الرجل، لأنّ التطوّر العلمي، قد أثبت في بعض الموارد عكس ذلك، وأثبت أنّ تحمّل النساء وطاقاتهم في الكثير من المسائل الماديّة والجسمانيّة، أكثر من تحمّل الرجال. لكنّ المرأة تتمتّع بلطافة، وبنيتها أقلّ وأصغر حجمًا، ولكنها أكثر تأثّرًا من الناحية العاطفيّة. هذه هي الفوارق الطبيعيّة بين المرأة والرجل. بناءً عليه، هذان الموجودان اللذان يتمتّع أحدهما بقوّة وقدرة أكبر وأشدّ قساوة من الناحية البدنيّة من الآخر، بمعنى آخر، أكثر طولًا، وأضخم عظمًا، وأغلظ صوتًا، وأشدّ قوّة، والآخر على سبيل الفرض، أقلّ قوّة وأوهن من حيث العضلات، إذا كانا يعيشان في بيئة لا يحكمها القانون، وحاكميّة العقل والمنطق فيها ضعيفة، يكون حالهما واضحًا. فالقويّ سيظلم الضعيف، ويستغلّه ويؤذيه وسوف يجبره على خدمته. وهذا أمر حتمي. هذا ما سيحدث إن لم يكن العقل والقانون موجودين.

بالطبع، للمرأة إذا ما أرادت التغلّب على الرجل، قدرات، وأعمال، وأساليب ومميّزات تختّص بها. فإذا ما كان العقل والتدبير هما الحاكمان، فإنّ هذه الأساليب ستجدي نفعًا[1]. يمكن للمرأة بدرايتها ولطافتها أن تجعل الرجل طوع يديها، ويشهد المرء هذا الأمر بالتجربة، كما يمكن إثباته بالقياس الفكري والعقلي. وهذا أمر واقعيّ. نعم، هناك

(١) ١٩٩٥/١١/١٣.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 58 8/14/18 11:40:32 PM

نساء لا يتحلّين بالدراية والكياسة، لذا لا يمكنهنّ القيام بهذا الأمر، أمّا المرأة التي تتحلّى بالفطنة والكياسة، فإنّها تروّض الرجل لنفسها. وهذا تمامًا مثلما يمكن لشخص أن يروّض أسدًا مفترسًا، ويمتطيه، ولا يعني هذا أنّه من الناحية الجسديّة أقوى من الأسد، بل يعني أنّه استطاع أن يستخدم هذه القدرة التأثيريّة، والنساء يمتلكن مثل هكذا قدرات، غاية الأمر من خلال اللطافة، واللطافة والدقّة التي نتكلّم عنها لا تقتصران على اللطافة في التركيب والبنية الجسديّة، بل اللطافة والدقّة في الفكر والتفكير والتدبير واتّخاذ القرار التي جعلها الله في المرأة[١]. وإن لم يكن التدبير والقانون موجودين، ولم يكن الجوّ جوًّا عقلانيًّا، ولم يُتّبع الأسلوب العقلاني، حينذاك ستقع الخسارة الكبرى، والتي للأسف حدثت وتحدث منذ فجر التاريخ البشري إلى الآن، ألا وهي استغلال جنسٍ للجنس الآخر. ومرادنا من الجنس ليس الجنس المنطقي، بل المعنى المشهور والمتعارف له. حيث استغلّ جنس أو صنف ـ والذي هو صنف الرجال ـ الجوّ اللاقانوني واللاعقلاني، وتعدّى على الجنس أو الصنف الآخر وظلمه. وهذا هو العمل الذي مورس على امتداد التاريخ، ويُمارس الآن أيضًا. بالطبع، هذا لا يعني أنّ هذا الأمر قد حدث على امتداد التاريخ باستمرار وفي كلّ مكان. بل كان أحيانًا يحدث عكس هذا في بعض المناطق. ففي المناطق التي كان يسودها حكم العقل والمنطق والقانون والحكومة، أو العادات والآداب الخاصّة، كان الوضع مختلفًا. لكن، [بالأغلب الأعمّ] ما كان رائجًا في الماضي

(١) ٢٠١٣/٥/١١.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 59 8/14/18 11:40:32 PM

هو هذا [استغلال جنس لآخر]. إذا ما راجعتم الكتب والمؤلّفات التي أُلّفت [في الماضي] سترون حتمًا كيف كانت نظرة الأقوام والشعوب السابقة للمرأة، وكيف كان أسلوبهم وتعاطيهم. إحدى تجليّاته هو ما ورد في القرآن الكريم: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[1]، واقعًا، إنّ ما حدث في التاريخ محزن مبكٍ. وهذا كان نتيجة لفقدان البيئة العقلانيّة وتعطيل العقل وفقدان القانون. هل يمكن في الغابة التي لا يحكمها القانون ولا العقل أن يقف حيوان قويّ أمام غريزته أو ميله ورغبته التي لا تعرف الشبع، دون افتراس حيوان ضعيف! لذا، إذا أصبحت البيئة كبيئة الغابة، ستصبح قضيّة المرأة والرجل قضيّة المرارة والقبح نفسها تلك التي شهدناها في التاريخ ونشاهدها اليوم للأسف في العالم.

ومن الخطأ أن يظنّ أحد أنّ هذه الأمور لا وجود لها في الغرب الذي يتشدّق بمشاركة المرأة للرجل، وتساويهما أو يرفع شعار حقوق المرأة، وأنّ الظلم لا يُمارس على المرأة هناك. توجد إحصاءات مخيفة في الغرب عن تعنيف المرأة، واستغلالها، سواءً في بيئة العمل، أو في البيئات الأخرى، حتّى إنّ المرء ليشعر بالخجل من ذكر بعضها. رأيت في بعض الإحصاءات المتعلّقة بإحدى الدول الغربيّة - أميركا - أنّ عدد النساء اللواتي يُضربن من قِبَل أزواجهنّ كثير جدًّا. واقعًا أُصبت بالدهشة، وإنّه لإحصاء يدعو إلى العجب. ورد في تلك المقالة، أنّ

(١) النحل: ٥٨.

.indd 60 8/14/18 11:40:33 PM

هذا هو إحصاء للنساء اللواتي تقدّمن بالشكاوى، أمّا أولئك الذين تغاضين عن المسألة، أو خفن من أن يتسبّب تقديم الشكوى بردّة فعل أقوى من قبل أزواجهنّ، فهؤلاء غير معلوم عددهنّ! لذا، تلاحظون أنّ قضيّة المرأة ومشاكلها لا تُحلّ بالطرق التي قدّمها الغرب، من أمثال تعرّيها وتواجدها في الطرقات وابتعادها عن الحجاب وما شابه. وليس الأمر كما نتصوّر أنّه إذا ما نزعنا الشادور عن رأس المرأة، أو قلّلنا من حجابها، أو صرفنا النظر عن هذه القيود الشرعيّة، ستُحلّ مشكلة المرأة. مشكلة المرأة لن تُحلّ بهذا الشكل، بل ستزداد سوءًا[١].

العمل الذي يقوم به الإسلام أساسيّ. إنّه يسعى لإيجاد بيئة وجوّ، لا يظلم فيها الجنس الأقوى من الناحية الجسديّة ـ وهذه القوّة الجسديّة لا تعني بالطبع أنّه أقوى من الناحية العقليّة والعلميّة ـ الجنس الأضعف.... من الواضح أنّ الجنس الأقوى من الناحية الجسديّة أضخم عظما، وأطول قامة وأغلظ صوتًا، لكن هل هو أشدّ عقلًا وأكثر فطنةً؟ لا. وهل هو أقوى في هذه المنطقة الوسطيّة والتي هي منطقة السياسة والاقتصاد والعلم وباقي الأمور، من الجنس الآخر؟ لا. لأنّ هذه الأمور مرتبطة بالمشاركة والتجربة ومباشرة الأمور.

إذا ما أُبعدت المرأة لألف سنة أخرى عن ميادين الحياة المختلفة، سترون بعد ألف سنة أنّ عدد العلماء الرجال، والسياسيّين الرجال، والتجار وأصحاب المهن الرجال، وعدد الرجال الذين يقودون الأنشطة

(١) ١٩٩٥/١١/١٣.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 61 8/14/18 11:40:33 PM

والفعاليّات الاجتماعيّة، أكثر من النساء. وإذا ما حالت قوّة دون الرجال والتدخّل في مثل هكذا أمور، وأدخلت [بدلًا منهم] النساء في هذه الأمور، فسترون بعد مضيّ سنوات بأنّ هذا الجنس [الرجال] سيضعف تدريجيًّا، وأنّ ذاك الجنس [النساء] سيصبح أقوى. بالطبع، هذا أيضًا غير صحيح، وهو ظلم بطريقة أخرى. لذا، فحلّ مسألة الجنسين – من أجل الحؤول دون البغي والتطاول[١] – مرتبط بثلاثة عوامل، وهي العوامل المعنويّة نفسها التي أشرت إليها سابقًا. ينبغي إدخال العامل المعنوي إلى الميدان لتقلّ أهميّة العامل الجسماني والماديّ. العامل الجسماني والمادي يعني علامات القوّة الظاهريّة نفسها في جنس ما. عندما ندخل العامل المعنويّ، يضعف العامل المادّي.

أحد هذه العوامل الثلاثة هو القانون. وينبغي للقانون أن لا يسمح بالظلم. عامل آخر من العوامل الثلاثة هو رفع مستوى تفكير المرأة وعقلانيّتها عن طريق التحصيل العلمي، والنشاطات الفكريّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والعقليّة والأدبيّة والفنيّة المختلفة. النسبة الأكثر من الأمّيّين في العالم اليوم هي من النساء. وينبغي مكافحة الأمّيّة لتتمكّن المرأة من أن تصبح ذات تفكير وتدبير، فلا تستطيع تلك القوّة أن تعتدي عليها وتظلمها. وإذا ما نما هذا التدبير والعقلانيّة والعلم والوعي في المرأة، فإنّه سيمنع تطاول وتعدّي تلك القوّة الماديّة. بالطبع، التعلّم ليس هو المعيار دومًا، الأساس هو العقلانيّة. أحيانًا قد يكون هناك أناس

(١) أي التجاوز والتعدّي.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 62 8/14/18 11:40:33 PM

متعلّمون لكنّهم لا يتحلّون بالعقل والكياسة. والعكس ممكن أيضًا. لذا، الأساس أن تنمو العقلانيّة والكياسة في المرأة لتتمكّن من منع تعدّي تلك القوّة الماديّة وتلجمها[١]. وينبغي لفكرة تكامل المرأة ورشدها من الناحية المعنويّة والأخلاقيّة أن تكون فكرة رائجة بين النساء أنفسهنّ. وعلى النساء أنفسهنّ التفكير أكثر بهذه المسألة. وعليهنّ أنفسهنّ الإقبال على المعارف والعلوم، والمطالعة ومسائل الحياة الأساسيّة. والتربية الغربيّة الخاطئة أدّت إلى ميل النساء في عهد حكومة الطاغوت في هذا البلد، إلى التبرّج والكماليات والزينة غير الواعية والاهتمام بالمظاهر، والتي هي بدورها من علامات حاكميّة الرجل. إحدى علامات حاكميّة الرجل الغربي هي هذه، إذ يريدون للمرأة أن تكون متاحة للرجل، لذا، يقولون: على المرأة أن تتبرّج ليلتذّ الرجل! هذه حاكميّة الرجل، وليست حرّيّة المرأة، هي في الحقيقة حريّة الرجل. يريدون للرجل أن يكون حرًّا، حتّى في المتعة البصريّة، لذا يشجّعون المرأة على نزع الحجاب والتبرّج والزينة أمام الرجال! بالطبع، هذه الأنانيّة اتّصف بها الكثير من الرجال في المجتمعات اللادينيّة منذ العهود القديمة، ولا يزالون إلى الآن، والغربيّون هم التجلّي الأعلى لها. إذًا، ينبغي لهذه المسألة التي تقود النساء نحو المعرفة والعلم والمطالعة والوعي واكتساب المعلومات والمعارف أن تؤخذ على محمل الجدّ بين النساء أنفسهنّ، وأن تولى الأهميّة من قبلهن[٢].

(١) ١٩٩٥/١١/١٣.

(٢) ١٩٩٥/١٠/٢٢.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 63 8/14/18 11:40:34 PM

ثالثًا، أن يُعمل على رفع مستوى التفكير في المجتمع بشكل عامّ. فالمجتمع الذي يتحلّى فيه الجميع بقدر من الوعي والعقل والتفكير والنضوج والحكمة، لا يعتدي فيه أحد على آخر دون سبب. وهذا هو العامل الثالث.

لقد درس الإسلام القضايا في موضوع الحجاب، بحكمة بالغة. وكلّما أعمل الإنسان الدقّة، يزداد الموضوع عمقًا. ولقد وضع الشرع المقدّس فيما يتعلّق بحكم الحجاب حدًّا معيّنًا، يجب معرفته. ولا ينبغي تخطّيه أو الإفراط والتفريط فيه. إنّ حجاب النساء الإيرانيّات حجاب جيّد. بالطبع، هذا ليس شكل الحجاب الوحيد. فهناك مسلمون آخرون في العالم أيضًا، ولنسائهم أنواع أخرى من الحجاب، حتى لو لم يكنّ يرتدين الشادور. مع أنّه [الشادور] بنظرنا هو الحجاب الأفضل. وإنّ من اخترع الشادور - الذي هو الحجاب الإيراني - قد ابتكر الستر الجيّد. أساس الموضوع هو الحجاب، وينبغي فهم معنى الحجاب. ليس الحجاب حجب المرأة عن الرجل، إنّما هو حجاب ما بين نطاق الحياة الخاصّة بكلّ من المرأة والرجل. وينبغي بالطبع للمرأة أن تراعيه بنحو ما، وللرجل أيضًا أن يراعيه بشكل آخر. تلك اللطافة التي تكلّمنا عنها، تفرض على المرأة بعض الأمور. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «المرأة ريحانة» أي وردة. هذا التعبير عجيب، ويتضمّن في نفسه تلك اللطافة والظرافة نفسها. ولم يرد مثل هذا التعبير بحقّ الرجل. فكون المرء ريحانًا يفرض عليه أمورًا ويحتّم عليه مراعاة بعض الأمور.

ومراعاة النساء للحجاب أوّلًا، ليس بمانع لأيّ نشاط علمي

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 64 8/14/18 11:40:34 PM

وسياسي. وإذا ما أردنا أن نقدم دليلًا على ذلك، فالنساء العالمات، والمتعلّمات، والمحصّلات، لديهنّ أنشطة سياسيّة واجتماعيّة، ولديهنّ حضور فاعل في أكثر الميادين، وبالحجاب [أيضًا]، فالحجاب ليس بمانع. ليس صحيحًا أنّ النساء اللواتي لا يحافظن على حجابهنّ بشكل جيّد في مجتمعنا، هنّ أكثر حضورًا في الأجواء والبيئات العلميّة والمتطورة. ولم يكن الأمر كذلك أيضًا في الفترة [الماضية] التي كانت فيها سياسة الجهاز الحاكم لهذا البلد تتّجه إلى إجبار النساء على خلع الحجاب، وسوقها نحو الفحشاء، وليس صحيحًا أن اللواتي غرقن أكثر في ذلك المستنقع، كنّ من أهل العلم والاختصاص والوعي والتحصيل والمعرفة، بل العكس كان الصحيح. وأولئك اللواتي كنّ من أهل العلم والمعرفة وما شابه، كنّ يتجنّبن نسبيًّا مثل هذه الأجواء. وهنّ اليوم أيضًا كذلك. بناءً عليه، فالحجاب من ناحية ليس بمانع، وهذا الستر الخاصّ بالمسلمات والحفاظ عليه، ليس بمانع للنساء من أيّ عمل جيّد، ومن أيّ تطوّر معنويّ وماديّ وظاهريّ، ومن ناحية أخرى، وجود الحجاب للنساء في مجتمع ما، يجلب معه نعمًا وعطايا لا بديل لها. إحدى هذه النعم حفظ بنيان الأسرة، والتي من دون الحجاب لا تُحفظ جيّدًا وتضعف. وهذه المشكلة موجودة اليوم في الغرب.

لا يقولنّ أحد إنّ هناك أشخاصًا لديهم أُسرة جيّدة ومحبّة وجوًّا عائليًّا جيّدًا، مع أنّهم بلا حجاب. حتمًا توجد مثل هكذا أُسر. نحن لا نريد القول بأنّ الأسرة تتضعضع في كلّ مكان لا يُراعى فيه الحجاب.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 65 8/14/18 11:40:34 PM

بل حين لا يكون هذا الاصل موجودًا في بيئة اجتماعيّة ما، يتزلزل ذلك الأصل في الاسر تلقائيًّا. وهذا ما حدث في الغرب[١].

وقد ظهرت آثار وتبعات هذا الأمر المدمّرة حينذاك في المجتمعات البشريّة، كتفكّك بنيان العائلة، والإحصائيّات الحاكية عن تجارة النساء المؤلمة والمؤسفة. إنّ التجارة الأكثر ازدهارًا ورواجًا في العالم اليوم وطبقًا للإحصائيّات العالميّة - والتي هي بنظري إحصاءات الأمم المتّحدة، وهي مركز رسمي - هي تجارة النساء وتهريبهنّ. وهناك عدّة بلدان هي الأسوأ في هذا المجال، من بينها الكيان الصهيوني. حيث يجمعون النساء والفتيات من الدول الفقيرة، من أميركا اللاتينيّة، وبعض دول آسيا، وبعض دول أوروبا الفقيرة، تحت عناوين العمل والزواج وما شابه، ويأخذونهنّ في ظروف قاسية جدًّا ويسلّمونهنّ إلى مراكز ترتجف الأبدان لمجرّد تصوّرها أو تصوّر اسمها. وكلّ هذا قائم على هذه النظرة الخاطئة، وهذه اللامساواة الظالمة فيما يتعلّق بمكانة المرأة في المجتمع. إنّ ظاهرة الأطفال غير الشرعيّين، والنسبة الأعلى لهذه الظاهرة في أميركا، هي ظاهرة الحياة المشتركة من دون زواج، أي هي في الحقيقة إطاحة بمؤسّسة الأسرة وبيئتها الدافئة والحميميّة، وإطاحة ببركات العائلة، وحرمان للبشريّة من هذه البركات. وهذه كلّها ناجمة عن المشكلة الأولى. يجب التفكير فيما يتعلّق بهذه المسألة، والتعريف بمكانة المرأة، والوقوف بجدّيّة بوجه منطق الغوغائيّة الغربي.

(١) ١٩٩٥/١١/١٣.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 66 8/14/18 11:40:34 PM

سُئلت ذات يوم: ما هو جوابك وكيف ستدافع في مواجهة ما يثيره الغربيّون حول مسألة حقوق المرأة في إيران؟ فقلت: لا ينبغي لنا أن ندافع، بل أن نهاجم! إنّنا ندين الغرب فيما يتعلّق بحقوق المرأة، فهم الذين يظلمون المرأة، ويهينونها، ويحطّون من مكانتها، باسم الحريّة، والعمل، وإعطائها المسؤوليّة. إنّهم يمارسون على النساء أنواع الضغوط الروحيّة والنفسيّة والعاطفيّة، ويحطّون من قدرها وشأنها، عليهم هم أن يجيبوا عن هذه الأسئلة ويدافعوا عن أنفسهم[١].

إنّ الغرب يتهرّب بدهاء من طرح قضيّة الأسرة. ويطرح في كلّ الأبحاث التي يعمل عليها قضيّة المرأة، فيما لا يتطرّق لقضيّة الأسرة أبدًا. والأسرة تشكّل نقطة ضعف لدى الغرب. إنّه يطرح قضيّة المرأة من دون أن يأتي على ذكر الأسرة، مع أنّ المرأة لا تنفكّ عن الأسرة. لذا، فإنّ متابعة هذه المسألة أمر لازم[٢]. لقد تحدّثت في كلمة لي على منبر الأمم المتّحدة[٣] عن الأسرة لحوالي الساعة والنيّف. بعدها

(١) ٢٠١١/٥/٣١.

(٢) ٢٠١٢/١/٤.

(٣) خطابه في الجمعيّة العامّة الثانية والأربعين للأمم المتّحدة في نيويورك: القوى العظمى هي العامل الأكبر لتبرير الفساد ونشره: الفساد الأخلاقي، الفساد الجنسي، والفساد الاعتقادي. هذه كلّها تجد الداعمين والمروّجين الرئيسيّين لها في الدوافع السياسيّة والاقتصاديّة والمخابراتيّة لهذه القوى. وهذا ما حصل، حيث اليوم في العالم المظلم، وهذه المرّة في الشعوب المنتمية إلى هذه القوى الكبرى، ذهبت القيم الأخلاقيّة أدراج الرياح، وتضعضع بنيان الأسرة واهتزّ، وسيطر شبح الإدمان على الكحول والموادّ المخدّرة أكثر من أيّ وقت، وقلّت جاذبيّة المعنويّات والأخلاق من أيّ وقت كذلك. =

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 67 8/14/18 11:40:35 PM

علمت أنّ التلفزيونات الأميركيّة مع كلّ الإصرار على الرقابة وتخريب كلامنا، استندت إلى هذا الخطاب وبثّته عدّة مرّات مع الترجمة. وذلك لأنّني تطرّقت للكلام عن الأسرة قليلًا.

أي إنّ الرسالة المتضمّنة للكلام عن الأسرة هي اليوم بالنسبة للغرب كالماء البارد العذب. وذلك أنّهم يشعرون بالنقص إزاءها[١].

إنّ قضيّة الأسرة [بالنسبة للغرب] قضيّة على جانب كبير من الأهميّة، بحيث إذا ما جرى الاهتمام والاعتناء بأمر الأسرة وبنيانها وأساسها، تبدأ القلوب بالخفقان، لأنّ هذه هي مشكلتهم الأساسيّة. هكذا هو الغرب اليوم. وخلافًا له، في أيّ مكان تمّت مراعاة الحجاب بنحو كلّيّ أو نسبي، سيقوى بنيان الأسرة بذلك المقدار وتلك النسبة. فبين هذين علاقة مباشرة.

من جملة الأمور المترتّبة على الحجاب الذي هو مصدر سعادة المرأة، عدم إمكانيّة الاستغلال الذي تكلّمنا عنه. ذلك أنّ إحدى مشاكل

= علينا أن نبدأ بمحاربة الفساد في بلادنا بشكلٍ جدّيّ. وأن نقوّي بنيان العائلة، وأن نؤسّس بيت التربية الإنسانيّة الأساسيّ والأوّل، مركز المحبّة، والصفاء والعاطفة والمعنويّة. وعلينا التأكيد على حماية حقوق المرأة وقيمها، ونعيد النظر في المعايير الراهنة لها والتي هي صنيعة نظام الهيمنة هذا وتصوّراته، ونحرّر المرأة جدّيًّا من كونها وسيلة للّذّة، والتي فرضتها عليها ثقافة الهيمنة الغربيّة عمليًّا.
والمرأة [بصفتها] عالمة، سياسيّة، مديرة، شخصيّة بارزة، والأفضل من كلّ هذا كزوجة وأمّ، نعم، لا بصفتها وسيلة للشهوة والتسلية، يمكنها أن تمنح نصف البشريّة هويّتهم وشخصيّتهم الحقيقيّة، وأن تمنح الأسرة أساسًا دائمًا ومقدّسًا. ١٩٨٧/٩/٢٢.

(١) ١٩٩٧/١٢/١٥

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 68 8/14/18 11:40:35 PM

النساء في البيئات المتأثّرة بالثقافة الغربيّة والمبتلاة بتصوّراتها، هي موضوع الزينة والتزيّن وخروج المرأة بكامل زينتها. وهذه واقعًا من القضايا والمشاكل المهمّة. ومن حسن الحظّ أنّ نساءنا الثوريّات لم يتأثّرن بهذه المسألة. مع أنّي أشعر بأنّ البعض يخرّب خلوص النساء الأوائل وصفاءهنّ ويحاول أن يشيبه [ببعض الشوائب]، ويقود النساء عمدًا بهذا الاتّجاه. لكنّ أولئك مبتليات، وهذا يستهلك وقتهنّ وأموالهنّ وهمّتهنّ. وإن لم يكن هذا الأمر موجودًا في حياتهنّ بشدّة، لصرفن وقتهنّ وأموالهنّ وجهودهنّ وأحاسيسهنّ على أعمال بنّاءة أفضل لهنّ. على أيّ حال، هذه هي وجهة نظر الإسلام وطريقته، وهذه هي طريقة علاجه للمسألة[١].

إنّ عالم الاستكبار الذي تسوده [الأفكار] الجاهليّة مخطىء حيث يظنّ بأنّ قيمة المرأة واعتبارها في أن تتزيّن أمام الرجال، لتنظر إليها العيون الفاسقة وتلتذ بها وتثني عليها. والبساط المفروش اليوم في العالم من قبل الثقافة الغربيّة المنحطّة تحت عنوان حريّة المرأة، قائمٌ على جعل المرأة في معرض نظر الرجل ليستمتع بها ويقضي بها شهوته الجنسيّة... هل هذه حريّة للمرأة؟ إنّ الذين يدّعون مناصرة حقوق الإنسان في عالم الحضارة الغربيّة الجاهلة والغافلة والتائهة في الضلالة، إنّما هم في الحقيقة ظالمون للمرأة.

انظروا للمرأة على أنّها إنسان عظيم، ليتّضح ما هو تكاملها وحقّها

(١) ١٩٩٥/١١/١٣

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 69 8/14/18 11:40:35 PM

وحرّيتها. انظروا للمرأة على أنّها موجود يمكنه أن يكون مصدرًا للصلاح في المجتمع من خلال تربية الأناس العظماء، وذلك ليتّضح ما هو حقّ المرأة وكيف تكون حرّيتها. انظروا للمرأة على أنّها العنصر الأساسي في تشكيل الأسرة. فمع أنّ الأسرة تتكوّن من المرأة والرجل، وكلاهما مؤثّران في وجود الأسرة وتأسيسها، إلّا أنّ هدوء جوّ الأسرة، والراحة والسكون الموجودين فيها، إنّما هما ببركة وجود المرأة والطبيعة الأنثويّة. انظروا للمرأة بهذه النظرة، ليتّضح لنا كيف تتكامل وما هي حقوقها.

منذ أن ابتكر الأوروبيّون صناعات جديدة ـ في أوائل القرن التاسع عشر حيث أنشأ أصحاب رؤوس الأموال الغربيّون المصانع الكبرى – وكانوا بحاجة إلى قوى عاملة متدنيّة الأجرة، قليلة المتطلّبات والمشاكل، بدأت معزوفة حريّة المرأة تعلو وتتصاعد، وذلك من أجل إخراج النساء من بيوتهنّ نحو المصانع، لاستغلالهنّ بصفتهنّ عاملات أقلّ أجرةً [من الرجل]، فملأوا جيوبهنّ بالمال، وامتهنوا ، وحطّوا من كرامة المرأة ومكانتها. وما يُطرح اليوم في الغرب تحت مسمّى حريّة المرأة، إنّما هو استمرار لتلك المعزوفة وتلك القضيّة. لذا، فإنّ الظلم الذي لحق بالمرأة في الثقافة الغربيّة، والفهم الخاطئ للمرأة الموجود في الآثار والأدبيّات الغربيّة، لم يُشهد له مثيل طوال مراحل التاريخ. لقد ظُلمت المرأة في الماضي في كلّ مكان من العالم، لكنّ هذا الظلم العامّ والشامل والمتعدّد الجوانب، مختصّ بالعصر الأخير وناجم عن الحضارة الغربيّة.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 70 8/14/18 11:40:35 PM

لقد عرّفوا المرأة على أنّها وسيلة لالتذاذ الرجل، وسمّوا ذلك حرّية المرأة. لكنّها في الواقع كانت حريّة الرجل الفاسق للاستمتاع بالمرأة، لا حريّة المرأة. ولم يُمارس الظلم على المرأة فقط في مجال العمل والنشاط الصناعي وأمثالهما، بل في مجال الأدب والفنّ. إنّكم إن نظرتم اليوم إلى القصص والروايات والرسوم والأنواع الأدبيّة، سترون بأيّ نظرة ينظرون إلى المرأة. هل يتمّ الاهتمام بالجوانب الإيجابيّة والقيم السامية الموجودة في المرأة؟ وهل المشاعر الرقيقة، وتلك المحبّة والخصال الودودة التي أودعها الله في المرأة، الأمومة، وروحيّة رعاية الأولاد وتربيتهم هي مورد اهتمامهم، أو الجوانب الشهوانيّة والعشق بحسب تعبيرهم؟ وهذا تعبير خاطئ وغير صحيح. فهذه شهوة وليست بعشق. هكذا أرادوا للمرأة أن تتربّى وتتعوّد، وأن تكون موجودًا مستهلكًا، مستهلكًا سخيًّا وعاملًا غير متطلّب وقليل الأجر[١]. وهل هذه هي الشخصيّة المطلوبة للمرأة؟!

عليها أن تتخلّى عن الحجاب والعفاف، وتتزيّن ليُسرّ الرجال بذلك. هل هذا تعظيم للمرأة أم إهانة لها؟ لقد أعلن الغرب الماجن اللاعاقل الذي لا يعي شيئًا، والمتأثّر بالحركة الصهيونيّة، هذا الأمر كتعظيم للمرأة، وقد صدّقهم البعض في ذلك. إنّ عظمة المرأة لا تكون بتمكّنها من جذب أنظار الرجال، وعيون المهووسين إليها، وهذا ليس محطّ فخر وتعظيم للمرأة، بل هو إهانة لها. عظمة المرأة تكمن

(١) ١٩٨٤/٣/٩.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 71 8/14/18 11:40:36 PM

في أن تتمكّن من الحفاظ على الحياء والعفاف اللذين أودعهما الله في جبلّتها، وأن تمزجهما بعزّة الإيمان، والإحساس بالتكليف والمسؤوليّة، أن تستعمل اللطافة في مكانها، والحزم وقاطعيّة الإيمان في مكانها أيضًا. وهذا التركيب الظريف ـ تركيب اللطافة والقاطعيّة ـ مختصّ بالنساء فقط[١].

إنّ العالم الذي يبعد المرأة عن أسرتها، ويخرجها من [بيتها] بناءً على وعود واهمة، ويجعلها في معرض أنظار المجتمع وحركته الماجنة من غير مأمن ولا ملجأ، ويفسح المجال للاعتداء على حقوقها، فإنّه يضعف المرأة، ويهدم الأسرة، ويجعل الأجيال القادمة عرضة للخطر. كلّ حضارة وثقافة لديها هذا المنطق، فإنّها تفتعل فاجعة، وهذا ما حصل اليوم في العالم، ويزداد يومًا فيومًا. وأقول لكم، إنّ هذا هو من تلك السيول الخطيرة التي تظهر آثارها الجانبيّة على المدى الطويل، وستسحق بناء الحضارة الغربيّة وتدمّره. لن يظهر شيء على المدى القصير، فهذه أمور تفصح عن نفسها بمرور مائة ومائتي عام، وآثار هذه الأزمات الأخلاقيّة [بدأت] تظهر الآن في الغرب.

لقد كرّم الإسلام المرأة بالمعنى الحقيقي للكلمة. وإنّه إن كان يستند إلى دور الأمّ وحرمتها داخل الأسرة، أو إلى دور المرأة وتأثيرها وحقوقها ووظائفها والقيود التي ينبغي لها التقيّد بها داخل الأسرة، فهذا لا يعني بأيّ وجه من الوجوه أنّه يمنع المرأة من المشاركة في

(١) ٢٠١٠/٤/٢١.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 72 8/14/18 11:40:36 PM

العمل الاجتماعي والدخول في الكفاح والأنشطة العموميّة الشعبيّة. ولقد فهم البعض هذا الأمر فهمًا خاطئًا أو منحرفًا، ولقد استفاد بعض المغرضين من منحرفي الفهم هؤلاء، [فأوحوا] وكأنّه يتوجّب على المرأة إمّا أن تكون أمًّا وزوجة صالحة، أو أن تشارك في الأعمال والأنشطة الاجتماعيّة. والقضيّة ليست كذلك، عليها أن تكون أمًّا وزوجة صالحة، وكذا أن تشارك في الأنشطة والأعمال الاجتماعيّة. وفاطمة الزهراء عليها السلام هي مظهر لمثل هذا الجمع، الجمع بين الشؤون المختلفة. وزينب الكبرى نموذج آخر. ونساء صدر الإسلام المعروفات والبارزات نموذج آخر، كان لهؤلاء حضورهنّ في المجتمع.

ترافق عدم الفهم لتكريم المرأة في الإسلام مع التعاليم السيّئة المطروحة في الحضارة الغربيّة تحت عنوان تكريم المرأة، ولقد امتزج هذان الأمران ليتشكّل تيّار فكريّ خاطئ. إنّ المرأة داخل الأسرة مكرّمة وعزيزة وهي محور الإدارة الداخليّة لها، هي شمعة لكلّ أفراد الأسرة، ومصدر الأنس والسكينة والهدوء. ومؤسّسة الأسرة التي هي مرتع الراحة لحياة الإنسان المليئة بالتحدّيات والمصاعب، تستقرّ وتكتسب الهدوء والطمأنينة بوجود المرأة. وسواءً كانت زوجة أو أمًّا أو ابنة، مهما كانت، فالشرح يطول في تكريمها. بناءً عليه، ينبغي حقيقةً، تجديد الكتابات والأقوال وإعادة النظر فيما يتعلّق بموضوع تكريم المرأة في الإسلام[١].

(١) ٢٠٠٥/٧/٢٧.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 73 8/14/18 11:40:36 PM

«المرأة سيّدة بيتها»[١] هذا خطاب الرسول الأكرم ﷺ.. حيث يخاطب الرجال ويقول: خيركم خيركم لأهله. هذه هي نظرة الإسلام، ويوجد الكثير الكثير من أمثال هذا الحديث.. لقد طُرحت المرأة في القرآن كنموذج للإنسان المؤمن والمرضيّ عند الله تعالى، وكذا للإنسان الكافر والمغضوب عليه من قبل الله تعالى، وهذا أمر لافت. فعندما أراد القرآن انتخاب نموذج للإنسان المؤمن والإنسان الكافر، اختار المرأة لكليهما فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾، وفي المقابل يقول: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾[٢] فقد ضرب الله شخصيّتين مثلًا للمرأة المؤمنة والصالحة والأفضل هما امرأة فرعون والسيّدة مريم، ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾. واللافت أنّ حسن هؤلاء النسوة الأربعة وسوأهنّ مرتبط بالبيئة الأسريّة. ففيما يخصّ تينك المرأتين الكافرتين - ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ يقول: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾، فالمسألة مسألة الأسرة. وموضوع المرأتين الصالحتين مرتبط كذلك بالأسرة، فأهميّة الأولى، وهي امرأة فرعون، هي أنّها ربّت بين أحضانها نبيًّا من الأنبياء أولي العزم، وهو موسى الكليم عليه السلام، وآمنت به وساعدته، لذا انتقم منها فرعون. فالمسألة مرتبطة بداخل الأسرة وبتأثير هذا العمل العظيم الذي قامت به، وهو تربية موسى الكليم. وهكذا الأمر فيما يتعلّق بالسيّدة مريم: ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ

(١) نهج الفصاحة، ح ٢١٧٧.

(٢) التحريم: الآيات ١٠ إلى ١٢.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 74 8/14/18 11:40:37 PM

فَرَجَهَا﴾، وحافظت على شرفها وعفّتها. وهذا يدلّ على وجود عوامل يمكنها أن تهدّد عفّة المرأة وشرفها في البيئة التي كانت تعيش فيها مريم عليها السلام، وتمكّنت هي عليها السلام من مواجهتها. لذا، كلّ هذه [الأمثال في الآيات] ناظرة إلى هذه الجوانب المهمّة التي تكلّمنا عنها، وهي الجانب الأسري، وشأن المرأة في المجتمع[١].

بناءً عليه، فإنّ العنصر الأساسي لتشكيل الأسرة هو المرأة، لا الرجل. فيمكن أن يكون هناك أسرة من دون الرجل. أي إذا افترضنا ربّ البيت غائبًا عن أسرة ما، أو كان ميتًا، فيمكن للمرأة إن كانت عاقلة ومدبّرة وربّة بيت أن تحفظ أسرتها. أمّا لو أُخذت المرأة من الأسرة، فلن يكون بمقدور الرجل المحافظة عليها. فالمرأة إذًا، هي التي تحفظ الأسرة.

السبب في أنّ الإسلام أولى كلّ هذه الأهميّة لدور المرأة في الأسرة، هو أنّ المرأة لو ارتبطت بالأسرة، وأظهرت محبّتها، وأولت الأهميّة لتربية الأولاد، واهتمّت بأولادها، أرضعتهم، وربّتهم بين أحضانها، ووفّرت لهم المؤونة الثقافيّة، والروايات، والأحكام، والقصص القرآنيّة، والأحداث المفيدة وذات العبر، وجرّعتها لأولادها في كلّ فرصة كما تغذّي أجسامهم، ستكون الأجيال في ذلك المجتمع متكاملة ورشيدة[٢].

(١) ٢٠١١/٥/٣١.

(٢) ١٩٩٧/٢/٢٠.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 75 8/14/18 11:40:37 PM

يمكن للمرأة أن تربّي أولادها على أفضل وجه. وتربية الولد على يدي أمّه ليس كالتعليم في الصفّ، [إنّما] تكون بالعمل، بالقول، بالعاطفة، بالدلال، بالحداء له، بالعيش والحياة [معه]. فالأمّهات يربّين أولادهنّ من خلال العيش معهم. وكلّما كانت المرأة أكثر صلاحًا، وأعقل، وأوعى، ستكون هذه التربية أفضل[١].

يمتدّ دور الأمّ من حين الحمل إلى آخر حياة الإنسان. فالرجل الذي وصل إلى مرحلة الشباب أو تجاوزها، يكون أيضًا تحت تأثير عطف الأمّ ومحبّتها وتعاطيها الخاصّ. وإذا ما ارتقت نساؤنا بأنفسهنّ على المستوى المعرفي والفكري وعلى مستوى المعارف والمعلومات، فهذا الدور لا يمكن أن يُقاس بأيّ دور على الإطلاق، ولا بأيّ مؤثّر آخر من المؤثّرات الثقافيّة والأخلاقيّة إلى الأبد. أحيانًا يكون مستوى أمّ ما متدنّيًا من الناحية المعرفيّة، وهذا بالطبع، لا يؤثّر في مرحلة الكبر، فخطأ النقص في معلومات إنسان ما، لا يُعدّ نقصًا في تأثير الأمومة. فالأمّ تنقل إلى أولادها بجسمها وروحها ومسلكها، ثقافة قوم أو مجتمع ومعارفهم وحضارتهم وخصالهم الأخلاقيّة، علمت بذلك أم لم تعلم. والجميع هم تحت تأثير الأمّهات. والذي يصبح منهم إنسانًا سماويًّا، فبسبب الأمّ، «الجنّة تحت أقدام الأمّهات»[٢] [٣].

---

(١) ٢٠١٣/٥/١.

(٢) نهج الفصاحة، ح١٣٢٨.

(٣) ٢٠٠٥/٧/٢٧.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 76 8/14/18 11:40:37 PM

علينا أن نعمل على أن يصبح الأولاد يقبّلون أيادي أمّهاتهم، والإسلام يؤكّد على هذا الأمر. وذلك كما نشاهده في العائلات الأكثر تديّنًا، وأخلاقًا وقربًا إلى المفاهيم الدينيّة. على الأولاد في الأسرة أن يكنّوا الاحترام للأمّ. ولا يتنافى هذا الاحترام أبدًا مع تلك الحالة العاطفيّة والحميميّة [التي تشكّل بينهما وحدة حال] الموجودة بين الولد وأمّه. ينبغي لهذا الاحترام أن يكون موجودًا، وينبغي للمرأة أن تُحترم داخل الأسرة[١]. وحتّى لو لم يكن هناك أمّ داخل الأسرة أساسًا. كما لو كانت زوجة غير راغبة في إنجاب الأولاد، أو لا يمكنها ذلك لسبب من الأسباب. فلا ينبغي هنا التقليل من أهميّة دور الزوجة. إذا أردنا للرجل أن يكون إنسانًا مفيدًا في المجتمع، ينبغي للمرأة داخل الأسرة أن تكون زوجة صالحة، وإلّا لما أمكن ذلك[٢].

على المرأة المسلمة أن تسعى في طريق التألّق والعلم، وفي طريق بناء النفس المعنوي والأخلاقي، وتسير قدمًا في ميدان الجهاد والكفاح بكافّة أشكالهما، ولا تعير الاهتمام لزخارف الدنيا وزينتها البالية، وتصل بالعفّة والطهارة إلى حدّ تندفع فيه عنها تلقائيًّا أنظار الأجانب الطامحة، وتكون في بيتها مهدّئًا لنفوس الزوج والأولاد، ومصدرًا لاستقرار الحياة وهدوء جوّ الأسرة، وتربّي في حضنها الدافئ المفعم بالحنان، وبكلماتها ذات المغزى الممزوجة بالعاطفة، أولادًا سالمين من الناحية النفسيّة، تربّي أناسًا خالين من العقد، يتمتّعون بروحيّة

(١) ٢٠١٣/٥/١١.

(٢) ٢٠١٢/١/٤.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 77 8/14/18 11:40:37 PM

جيّدة، وسالمين من الناحية الروحيّة والعصبيّة، وتربّي الرجال والنساء وشخصيّات المجتمع. فالأمّ بنّاءة أكثر من أيّ بنّاء آخر وأكثر أهمّيّة. أكبر العلماء يمكنهم أن يصنعوا مثلًا آلة إلكترونيّة معقّدة جدًّا، وصواريخ عابرة للقارّات، وآلات لتسخير الفضاء، إلّا أنّ أيًّا من هؤلاء لا يحظى بأهمّيّة إيجاد إنسان راقٍ، والأمّ تفعل. وهذه هي نموذج المرأة المسلمة[١].

بالطبع، البعض يرفضون بشدّة مثل هذا الكلام منذ النظرة الأولى، ويقولون: سيّد، أتريد أن تجعل المرأة حبيسة بيتها، وتسجنها، وتمنعها من الحضور في ميادين الحياة وممارسة النشاطات، لا، ليس مقصودنا هذا بأيّ وجه من الوجوه، كما أن الإسلام لم يرد هذا. عندما يقول الإسلام: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٢] أي أنّ المؤمنين والمؤمنات شركاء في الحفاظ على سلسلة النظم الاجتماعيّة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يستثنِ المرأة. ونحن أيضًا لا يمكننا أن نستثنيها. فمسؤوليّة إدارة المجتمع الإسلامي وتقدّمه تقع على عاتق الجميع، على عاتق المرأة وعلى عاتق الرجل، كلّ منهما بنحو ما وبحسب قدراته وإمكانيّاته. بحثنا ليس في هل أنّه يمكن للمرأة تسلّم مسؤوليّة خارج بيتها أم لا – بالطبع يمكنها، ولا شكّ في ذلك، ووجهة النظر الإسلاميّة لم تنفِ ذلك مطلقًا – البحث هو هل يحقّ للمرأة أن تقضي على دورها داخل الأسرة بسبب

(١) ١٩٨٤/٣/٩.

(٢) التوبة: الآية ٧١.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 78 8/14/18 11:40:38 PM

كلّ الأمور المرغوبة والجذّابة والجميلة التي يمكن تصوّرها لها خارج محيط الأسرة؟ [أن تتخلّى عن] دور الأمّ؟ دور الزوجة؟ هل يحقّ لها ذلك أم لا؟ إنّنا نعتمد على هذا الدور. برأيي إنّ أهمّ دور يمكن للمرأة أن تؤدّيه في أيّ مستوى من المستويات العلمية والمعرفية والبحثية والروحية (المعنوية)، هو الدور الذي تؤدّيه كأمّ وكزوجة، وهو الأهمّ من بين كلّ أعمالها الأخرى، وهو العمل الذي لا يمكن لأحد غير المرأة القيام به. ولنفترض أنّ للمرأة أعمالًا مهمّة أخرى، حسنٌ فليكن، لكن عليها أن تعدّ هذه المسؤوليّة مسؤوليّتها الأولى والأصليّة. فبقاء النوع البشري ورشد الإنسان وتكامل استعداداته الداخليّة مرتبط بهذا، والحفاظ على الصحة النفسية [السلامة الروحيّة] للمجتمع مرتبط بهذا، والسكن والطمأنينة مقابل الاضطرابات والتأزّمات والقلق مرتبط بهذا، علينا أن لا ننسى هذا.

ليس تميّزًا وفنًّا أن تقلّد المرأة أعمال الرجال، لا. وللمرأة أعمال نسويّة تفوق أهمّيتها كلّ أعمال الرجال. جماعات مريبة جدًّا تطلق اليوم في العالم حملاتٍ مضادّة للقيم، وهي موجودة في جميع أنحاء العالم، وتُشاهد للأسف في بعض أنحاء بلدنا. هؤلاء يريدون أن يفرضوا على المرأة بأن تصبح رجلًا! ويرون بأنّ تخصيص بعض الأمور بالرجل وتخصيص بعضها بالمرأة هو من شأنيّة المرأة! هل هذا حطّ من شأنها؟ إنّ النظرة إلى هذه المسألة هي نظرة خاطئة. ويعدّون هذا الأمر عيبًا، في أن نقول إنّ الرجل رجل، والمرأة مرأة. حسنٌ، أليس الأمر كذلك؟ أتحبّون أن نأتي ونقول لكم إنّ المرأة رجل؟

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 79 8/14/18 11:40:38 PM

حينها ستكون رجلًا صناعيًّا، نسخة ثانية عن الرجل! وأيّ فخر هذا للمرأة. إنّ فخر المرأة أن تكون امرأة، امرأة كاملة، أنثى كاملة. إن نظرنا في مقام التقييم الرفيع، هذه القيمة ـ كون المرأة امرأة كاملة ـ ليست بأقلّ من كون الرجل رجلًا كاملًا. وفي بعض الموارد هي قطعًا أعلى وأهمّ أيضًا. لماذا نخسر هذا الأمر؟

بالطبع، هناك مسؤوليّات مشتركة [فيما بينهما]. وكما قلنا، مسؤوليّة الحضور في المجتمع وفهم المشاكل العامّة للمجتمع والسعي لعلاجها، ليست خاصّة بالرجال ولا بالنساء، ولا يمكن للنساء نفض أيديهنّ من هذه المسؤوليّة[١].

في صدر الإسلام، كانت النساء في ميادين الحروب، علاوةً على تضميد جراح المجروحين، والذي غالبًا ما تتولّاه النساء، [كانت] تضرب بالسيف أحيانًا حتّى وهي منقّبة، وذلك في المعارك الصعبة التي جرت في تلك الحقبة. في الوقت عينه، كانت تحتضن أولادها وترعاهم، وتربّيهم التربية الإسلاميّة، وتحافظ على حجابها، لأنّه لا منافاة بين هذه الأمور. وإذا ما أمعن المرء النظر، لن يجد منافاةً في ذلك. البعض يصل [في هذه المسألة] إلى حدّ الإفراط، والبعض الآخر إلى حدّ التفريط. يقول البعض بما أنّ الأعمال الاجتماعيّة لا تسمح لنا بأن نهتمّ بالبيت والزوج، لذا، لا ينبغي علينا الخوض في الأعمال الاجتماعية. والبعض منهنّ يقول، بما أنّ البيت والزوج والأولاد

(١) ٢٠٠٧/٧/٤.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 80 8/14/18 11:40:38 PM

لا يسمحون للمرأة بمزاولة الأعمال الاجتماعيّة، لذا، علينا التخلّي عن الزوج والأولاد. كلا فالفكرتان خاطئتان. ولا ينبغي أن نخسر هذا بسبب ذاك، ولا ذاك بسبب هذا[١].

يسأل البعض: هل أنت موافق على عمل المرأة خارج البيت؟ نقول: نحن طبعًا مخالفون لبقاء النساء من دون عمل، وعلى المرأة أساسًا أن تعمل. والعمل نوعان، أحدهما داخل البيت، والثاني خارجه، وكلاهما عمل، إن كان لدى إحداهنّ استعداد ومؤهّليّة للأعمال خارج البيت، فيجب أن تقوم بها، وهذا أمر جيّد جدًّا أيضًا. غاية الأمر، أنّ هناك شرطًا، وهو أن يكون هذا العمل، وحتّى العمل داخل المنزل، بنحو لا يوجّه ضربة لعلاقة المرأة بزوجها. بعض النساء يقتلن أنفسهنّ في العمل من الصباح إلى المساء، ومن ثمّ حين يعود الزوج إلى البيت، لا يستطعن أن يضحكن في وجهه. وهذا أيضًا أمر سيّئ. ينبغي لأعمال المنزل أن تُنجز، لكن ليس إلى حدّ يؤدي إلى انهدام الأسرة[٢].

إنّ عمل المرأة هو من جملة الأمور التي نؤيّدها. وأنا بدوري أؤيّد مشاركتها في الأنشطة الاجتماعيّة المتنوّعة، سواءً كان ذلك من نوع العمل الاقتصادي، أو العمل السياسي والاجتماعي والأعمال الخيريّة وما شابه. فهذه أيضًا أعمال جيّدة. النساء نصف المجتمع، ومن الجيّد أن نستفيد من نصف المجتمع في أمثال هذه الأعمال، إلّا أنّ هناك

(١) ١٩٩٧/٢/٢٠.

(٢) ١٩٩٤/٢/١.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 81 8/14/18 11:40:39 PM

أصلين أو ثلاثة، لا ينبغي التغاضي عنها. أحدها، هو أن لا نتغاضى عن هذا العمل الأساسي الذي هو عمل البيت والأسرة والزوجة وربّة البيت والأمومة، وهذا ممكن. ويبدو لي أنّه كانت لدينا أمثال ونماذج [لهذا الأمر] حيث عملت السيّدات على هذا النمط. بالطبع، قد كان ذلك صعبًا عليهن، فقد درسن، ودرّسن، وكنّ ربّات بيوت أيضًا، وأنجبن الأولاد، وعملن على رعايتهم وتربيتهم. لذا، نحن موافقون تمامًا على ذلك العمل والمشاركة بشرط أن لا يوجّه ضربة إلى هذه القضيّة الأساسيّة، لأنّه لا بديل لها. فإنّكنّ إن لم تربين أولادكنّ في المنزل، أو لم تنجبن الأولاد، أو لم تلعبن على أوتار أحاسيسهم البالغة الدقّة – والتي هي أدقّ من خيوط الحرير – وذلك لكي لا يُبتلوا بالعقد، فإنّه لا يمكن لأحد غيركنّ القيام بهذا العمل، لا الآباء، ولا الآخرون بطريق أولى، فهذا عمل الأمّ حصرا. أمّا ذلك الشغل الذي تقومون به خارجًا، إن لم تقوموا به أنتم فهناك عشرات الأشخاص الآخرين المستعدّين للقيام به، وسيقومون به. لذا، الأولويّة هي لهذا العمل الذي لا بديل عنه، وهو متعيّن عليكنّ. ٢٠١٢/١/٤ وهذا ليس تحقيرًا للمرأة، لا تتصوّرنّ ذلك. [بل] هو احترام وتكريم لها. المرأة في البيت، هي سيّدة البيت، أي هي تنظّم جوّ البيت، [الذي هو] مكان رشد نبتة الإنسان، وتقوم بإعداده. والرجل أيضًا يختصّ بالذهاب خارج البيت وبإنجاز أعماله وتأمين الطعام لهذه البيئة. والوضع هو كما أن يتشارك شخصان غرفة ما، فيتولّى أحدهما إدارة الغرفة، ويتولّى الثاني مهمّة الخروج من البيت لتأمين لقمة العيش لهما هما الاثنين، فأيّ منهما

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 82 8/14/18 11:40:39 PM

يكون أقلّ احترامًا؟ ذلك الذي يتولّى الأعمال في العائلة، وتتطلّع كلّ الأعمال إليه، والذي يبني هذه البيئة وهذا الجوّ، أي المرأة، يكون الاحترام الأكبر له. والرجل يعمل على خدمتها. وعندما يصل الدور إلى المسؤوليّات الاجتماعيّة، والنضال، والسياسة، عليهما معًا أن يكونا حاضرين. وعندما يصل الدور إلى الجهاد في سبيل الله، على الرجل والمرأة معًا أن ينزلا إلى الميدان[١].

في زمن الكفاح ضدّ النظام الطاغوتي في إيران، كان كثيرون في هذا الميدان، لكنّ نساءهم لم يسمحن لهم بالاستمرار في هذا الكفاح والجهاد لأنّهنّ لم يستطعن تحمّل مشاقّه. وفي المقابل، عمد كثير من النساء الأخريات إلى تشجيع أزواجهنّ على الثبات والصمود في طريق الكفاح، وساعدنهم وقدّمن لهم الدعم المعنويّ. في العامين ٧٧ و٧٨ [٢]، حين غصّت الشوارع والطرقات بالجماهير الشعبيّة، كان للنساء دور مؤثّر في تعبئة أبنائهنّ وأزواجهنّ وإرسالهم إلى ميادين الكفاح والتظاهرات.

لقد بدّلت النساء في فترة الثورة والحرب المفروضة أبناءهنّ إلى جنود مضحّين شجعانًا في طريق الإسلام والمسلمين، وحوّلن أزواجهنّ حينذاك إلى أناس مقاومين وأشدّاء. هذا هو تأثير المرأة على الابن والزوج. هذا هو الدور الذي يمكن للمرأة أن تلعبه داخل

(١) ١٩٨٤/٢/٤.

(٢) ٧٧ و ٧٨ هجري شمسي، أي ١٩٩٨/١٩٩٩م.

□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□ □□□□□□□ .indd 83 8/14/18 11:40:39 PM

البيت، وهو من أكبر الأدوار، وبرأيي هو من أهمّ أعمال المرأة. إنّ من أهمّ الأعمال للمرأة هو أن تربّي أولادها وتقوّي من معنويّات زوجها لورود الميادين الكبرى، والشكر لله، أنّ المرأة الإيرانيّة والمسلمة قد أبلت أحسن البلاءات في هذا المجال[١].

أحد الهواجس المهمّة لدى القائد، هي هاجسه فيما يتعلّق بطريقة حياة الناس التي عبّر عنها بـ «نمط الحياة» وشرّح مسائلها مرحلة مرحلة.

العنوان الأوّل الذي طرحه تبعاً لبحث نمط الحياة هو موضوع «الأسرة». هذه الهواجس الأساسيّة حتّمت على مركز «صهبا» أن يعدّ شيئاً في هذا المجال من كلمات القائد المعظّم، يلبّي احتياجات المراحل المختلفة لحياة الأسرة. فبدأ التحقيق وتجميع الموادّ.

وكانت المواضيع لافتة وجذّابة من ناحيتين:

الأولى: كيفيّة نظرته للمرأة ودورها في الأسرة.

والثانية: تقديم النموذج الجامع للأسرة الإسلاميّة إلى المجتمعات البشريّة.

ISBN 978-614-467-106-1

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
لبنان ـ بيروت ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 471070 1 961+ فاكس: 476142 1 961+
www.almaaref.org.lb
Email:info@almaaref.org.lb